

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين, صلى الله و سلم على عبده و رسوله نبينا محمد و على آله و أصحابه أجمعين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا فعملنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا و زدنا علماً و عملاً صالحين يا عفو يا كريم.

مقدمة في شرح حديث الافتراق

إننا و إياكم في هذه الدروس حول أصول الفرق و الدرس فيها سيكون منشوراً أي غير مرتبط بكتاب, و إنما هي حصيلة كتب, نسأل الله جل علا أن يعين عليها بعونه و أن يمدنا و إياكم بتوفيقه و إلهامه.

و بين يدي هذا الموضوع لا بد من التنويه بما تواتر عن النبي ρ برواية ستة عشر صحابياً, منهم علي¹ و أبو هريرة² و عبد الله بن عمرو بن العاص³ و عائشة⁴ و البراء ابن مالك⁵ و أنس⁶ و غيرهم رضي الله عنهم أن النبي ρ قال: " افتقرت اليهود على إحدى و سبعين فرقة

¹ السنة لمحمد بن نصر المروزي (63) السنة لابن أبي عاصم (995)

² أخرجه أبو داود كتاب السنة باب شرح السنة (4596) و الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2640) و قال حسن صحيح و أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم (3991).

³ أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2641) و قال: حسن غريب.

⁴ لم أجده

⁵ لعل الصواب عوف بن مالك عوف. أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم (3992).

⁶ ابن ماجه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم (3993).

و افترت النصارى على ثنتين و سبعين فرقة و ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة".

إلى هذا القدر من الحديث اتفقت الروايات و لهذا حكم العلماء عليه بأنه متواتر¹ إلى قوله "كلها في النار إلا واحدة." ثم إن روايات الحديث تباينت في وصف و تعيين هذه الفرقة الواحدة الناجية، ففي روايات الأكثر قيل: "من هم يا رسول الله؟" قال: "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي"² و في لفظ "هم الجماعة"³ و في لفظ ثالث "هم السواد الأعظم"⁴. و هذه ألفاظ متقاربة يفسر بعضها بعضا، أن الفرقة الناجية هم المستمسكون بسنن رسول الله ﷺ و هديه و شريعته. و الإمام أحمد رحمه الله لما سئل عن الفرقة الناجية من هي؟ قال: "إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم."⁵ و مراد الإمام أحمد بأهل الحديث أهل السنة و الجماعة الذين استقاموا على سنة النبي ﷺ، سنته التي هي شريعته. و هم الجماعة المجتمعون على الحق و إن قل عددهم، إذ السنة يراد بها عدة معاني بحسب اصطلاح أهلها. فالسنة عند الأصوليين هي المصدر الثاني من مصادر التشريع. و السنة عند الفقهاء و عند كثير من العلماء هي المستحب الذي يثاب فاعله و لا يعاقب تاركه و لهذا إذا قالوا مسنونات الطهارة و مستحبات الصلاة و مسنونات الصيام و الحج أرادوا ما يثاب فاعله و لا يعاقب تاركه.

السنة عند شراح أهل الحديث و في اصطلاح أصول الحديث - المصطلح - هي ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقي أو وصف خلقي. هذا يسمى بالسنة في اصطلاح الشراح و اصطلاح أصول الحديث.

¹ ذكره الكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر حديث (18). و قد يكون أراد الشيخ حديث " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين " ، فإن شيخ الإسلام ذكر في مقدمة كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم " أنه تواتر برواية أكثر من ثمانية عشر صحابيا .

² الترمذي في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (2641).

³ أبو داود في كتاب السنة باب شرح السنة (4597) ابن ماجه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم (3992-3993).

⁴ الطبراني في الكبير 178/8 رقم (7979) و السنة لابن أبي عاصم (68).

⁵ معرفة علوم الحديث للحاكم (ص 180 برقم 2).

السنة في باب العقيدة - و هو المراد في حديث الافتراق - يراد بها ما يقابل البدعة و لهذا تطلق السنة على العقيدة التي هي مقابل البدعة.

و تطلق السنة على الشريعة و من ذلك أن الآجري رحمه الله ألف كتابه "كتاب الشريعة". و تطلق السنة أيضا في مقابل افتراقات أهل الأهواء و البدع.

فقوله "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي"¹ هم أهل السنة, هذه هي الفرقة الناجية التي سلمت من البدع في أصولها و في مناجها و فروع دينها.

و هاهنا في هذا الحديث, قبل الولوج إلى أصول الفرق التي افتترقت هذه الأمة عليها, أشار عليه الصلاة و السلام إلى أن افتراقات اليهود أقل من افتراقات النصارى و افتراقات النصارى أقل من افتراق أمة الإسلام. و لهذا جاء في بعض الألفاظ "افتترقت اليهود و النصارى" و في رواية "افتترق أهل الكتابين على بضع و سبعين نخلة"² و لم يخص افتراق اليهود على كم و النصارى على كم, و ستفترق هذه الأمة على زيادة عليها. فقوله "افتترقت اليهود" أو "افتترق أهل الكتابين على بضع و سبعين نخلة" إشارة إلى كثرة الفرق لأنه أضافها إلى البضع و السبعين.

في هذا الحديث بين أن افتراق النصارى هو أكثر من افتراق اليهود. و اليهود افتراقهم في الحديث على إحدى و سبعين. أشهرها فرقتان شهيرتان من (فرق اليهود هي فرقة العبرانيين و فرقة النسطوريين, و بين هذه التضاعيف فرق أخرى كثيرة).

النصارى افتراقهم في الحديث أكثر من افتراق اليهود و لهذا قال عليه الصلاة و سلام" و افتترقت النصارى على اثنتين و سبعين فرقة" أشهرها الفرق الثلاث المشهورة: اليعقوبية و النسطورية ثم جاء في هذا الزمان في العصور المتأخرة بعد عصر النهضة ما تسمى بالبروتستنت و ...)³

¹ تقدم تخريجه.

² أخرجه أحمد 102/4 عن معاوية رضي الله عنه بلفظ افتترق أهل الكتابين على اثنتين و سبعين فرقة أما لفظ البضع و السبعين فلم أجده إلا في ذكر افتراق هذه الأمة لا أهل الكتابين كما أخرجه الطبراني (50/18, رقم 90).

³ هكذا في التسجيل و المقطع يحتاج إلى مراجعة لأنه ذكر من فرق اليهود اليعقوبية و النسطورية و الظاهر أنهما من فرق النصارى

الفرق الثلاث الشهيرة هي:

- الكاثوليك: هي الكنيسة الغربية في روما.

- و الأرثوذكس و هي الكنيسة الشرقية, كانت في القسطنطينية ثم ارتحلت إلى روسيا البلشفية و منها فرق النصارى الشرقيين: الأرمن و منهم الموارنة و منهم الأقباط في مصر و في الحبشة.

- الفرقة الثالثة: البروتستنت, و ذلك أن رجلا من أعيان القرن السادس عشر الميلادي يدعى مارتن لوثر انقلب على سلطة الكنيسة في روما و في أوروبا في تجديد زعمه تجديدا لملة عيسى و ديانة عيسى, فأتى بهذه الحركة التي عرفت بعد ذلك بحركة الإصلاح و تحضة الإصلاح. و استقرت بما يسمى الآن بالبروتستنت و أورثت ما يعرف في التأريخ القريب بالثورة الفرنسية و الآن تتولاها أوروبا الحديثة و أمريكا بما يسمى بالعملة الجديدة.

المقصود من هذا أن اليهود و النصارى افترقوا و قد نھينا عن أن نفترق كافتراقهم. و لهذا نھينا في القرآن في مواضع عن أن نفترق في ديننا و في كتابنا كافتراق الذين من قبلنا. و افتراقهم إنما كان بغيا بينهم أي هوى مصحوبا بظلم و تعدي, فيتعدى كل على الآخر إلى أن يحصل الافتراق.

و من أعلام نبوة النبي ρ أن هذه الأمة ستسير مسير الأمم قبلها على سننها, و على خطاها و لهذا جاء في الصحيحين قوله ρ : " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى و لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه" قالوا: " اليهود و النصارى يا رسول الله؟" قال: نعم.¹

قال العلماء: في تشبيهه عليه الصلاة و السلام دقة مشابحة هذه الأمة و اتباعها لسنن اليهود و النصارى بأنهم حتى لو دخلوا جحر ضب, هذا الجحر المعوج الذي يضرب عمقا في

¹ أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿و اتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ (3456) و مسلم في كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود و النصارى (2669) من حديث أبي سعيد الخدري بلفظ "شبرا بشبر, ذراعاً بذراع" أما لفظة القذة فهي عند أحمد (125/4) من حديث شداد بن أوس.

الأرض المشتمل على الحيايا و العقارب و الأوساخ, لو أن من اليهود و النصارى من دخله¹ سيدخله من هذه الأمة من سيدخله و من ذلك في - أصول الملة - الافتراق.

المسألة الثانية في هذا الحديث: أشار عليه الصلاة و السلام إلى ترتب افتراق اليهود ثم افتراقات النصارى عليها ثم افتراقات المسلمين على اليهود و النصارى. فيفيد أن افتراق النصارى أكثر من افتراق اليهود و أن افتراق المسلمين أكثر من افتراق اليهود و النصارى.

المسألة الثالثة و هي مسألة تتعلق بالعدد: فقله p "و ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة" و قوله في اليهود و النصارى "افترقوا على بضع و سبعين فرقة" و قوله في اليهود "على إحدى و سبعين" و قوله في النصارى على "ثنتين و سبعين"².

هل معناه أن العدد مراد أو غير مراد؟ و هذا ميدان البحث و التنوع عند عامة كتاب السير و المقالات, فإن جمهور من كتب في المقالات مقالات المسلمين و غير المسلمين ذهبوا إلى أن العدد مراد فحصرها تقسيماتهم على هذا العدد. و هذا مسلك المتكلمين, و لا سيما المتأخرين منهم في أن العدد مراد. و لهذا إذا فرعوا في افتراق اليهود لم يجاوزوا إحدى و سبعين فرقة و إذا فرعوا في افتراق النصارى لم يجاوزوا ثنتين و سبعين فرقة و إذا فرعوا في افتراقات المسلمين لم يجاوزوا ثلاثا و سبعين فرقة كما ترونه في الملل و النحل و في كتاب الملطي "التنبيه و الرد على أهل البدع" لأن عامة من كتب في المقالات هم من المتكلمين و من الأشاعرة خصوصا.

المنحى الثاني عند أهل العلم - و هو منحى معتبر عند السلف و من بعدهم - أن لا يحصرها الفرق في هذا العدد. و لهذا لم يعرف فيمن كتب في الفرق و الافتراقات من أتباع السلف الصالح أنه حصرها في ثلاث و سبعين فرقة في هذه الأمة, و إنما يذكرون الفرق بأصولها ثم يذكرون تفريعات هذه الأصول حسب ما يتيسر من غير عد لها أو حصر لها بالثلاث و السبعين. و أقرب ما يمكن أن يرد على هذا ما جاء عن عبد الله بن المبارك و يوسف بن أسباط رحمهما الله أنهما اختلفا هل الجهمية داخله في الثنتين و السبعين فرقة

¹ كلمة غير مسموعة في الشريط

² تقدم تخريجه.

المالكة أو ليست داخله؟ فقالا رحمهما الله "إن الجهمية هي خارج الثنتين و السبعين فرقة" لا يعني بذلك أنها محصورة بالعدد.

فصارت الوجهة الآن أن العدد في الحقيقة في هذا الافتراق غير مراد منه حقيقة المعدود و إنما جاء العدد بهذه الصفة لبيان كثرة افتراق هذه الأمة ككثرة افتراق اليهود و النصارى أهل الكتابين قبلها و أن هذه الأمة ستزيد عنها افتراقاً لأنه رتب p افتراق الأمة على افتراق اليهود و النصارى بزيادة عدد واحد.

و هذا المعنى تجتمع عليه الأدلة الكثيرة التي جاءت في الافتراق , فإن في بعضها تحديد العدد بإحدى و سبعين و ثنتين و سبعين و ثلاث و سبعين و هذه أكثر الروايات و بعضها في ذكر أن اليهود و النصارى أهل الكتابين قبلنا افترقوا على بضع و سبعين فرقة و أن هذه الأمة تزيد افتراقاً , فيدل على أن الافتراق كثير فيمن قبلنا و هو كثير في هذه الأمة و ستزيد عليها افتراقاً.

يؤيد هذا المعنى أن في موارد الشريعة تأتي كثير من الأعداد يراد بها بيان الكثرة و لا يراد منها حقيقة المعدود. مثاله في القرآن قول الله جل و علا في سورة التوبة عن المنافقين (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم)¹

لو أن النبي p زاد فاستغفر لهم أكثر من سبعين مرة يغفر لهم؟ لا يغفر لهم! و لهذا قال p "و الله لو علمت أني أزيد على السبعين مرة فاستغفر لهم فيغفر لهم لاستغفرت لهم."² فدل على أن المراد ليس بيان المعدود و أن المراد من قوله (سبعين مرة) بيان الكثرة. كذلك في حديث ثوبان في الصحيحين " سيخرج بعدي كذابون ثلاثون" في رواية "قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي و أنا خاتم النبيين لا نبي بعدي".³ من استعرض السير و التأريخ وجد أن مدعي النبوة أكثر من هؤلاء بكثير.

¹ التوبة 80

² أخرجه البخاري (1366) كتاب الجنائز, باب (84) ما يكره من الصلاة على المنافقين و الاستغفار للمشركين

³ أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام(3609), و مسلم كتاب الفتن و أشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء(2923) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ينضاف إلى ذلك أن السبعة و مضاعفاتها تأتي في الغالب لبيان الكثرة قال ρ: "صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع و عشرين درجة"¹ أي بدرجات كثيرة.

أيضا ينضاف إلى ذلك أن ألفاظ العقود العشرين و الثلاثين و الأربعين و الخمسين و الستين و السبعين و الثمانين و التسعين و مضاعفاتها تأتي لبيان الكثرة, و من ذلك ما يتعلق بالفرق.

فمراد الحديث أن افتراق هذه الأمة افتراق كثير, و أنه أكثر من افتراق اليهود و النصارى. و لهذا عاب العلماء - كشيخ الإسلام ابن تيمية و غيره من أهل العلم - على المتكلمين لما حصروا الافتراق في ثلاث و سبعين فرقة لأن هذه الفرق في سنن الله جل و علا الكونية و الشرعية تزداد افتراقا. خذوا على ذلك مثلا في الروافض: كانت فرقة واحدة و الآن بفرقها و شعبها زادت على ستين فرقة كلما تقدم بهم الزمان و كثرت عندهم الفروع و الأصول, كلما جاء من جاء فزادهم افتراقا .

و لهذا لو تلحظون لمن قرأ في مطولات كتب الاعتقاد و لا سيما كتب الردود و لا سيما تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية يجد القارئ و الباحث أن الشيخ يربط الفرق بأصولها و هذا هو ميدان البحث في هذه الدورة: أصول هذه الفرق, لأنه إذا عرف الإنسان هذه الأصول سهل عليه معرفة ما نتجت عنه من فرق أخرى.

أصول الفرق عند العلماء خمسة أصول, و معنى أصول الفرق أي أسسها التي اختلفت. هي الخوارج و الروافض و المرجئة و القدرية و الصوفية. هذه الأصول الخمس, أصول الفرق. و لو تلحظون, أن ما اختلف عن هؤلاء جاء من بوثقتهم و من خيمتهم.

منهم من يقسمها تقسيما آخر: الروافض و الخوارج و المرجئة و المعتزلة و الصوفية, لأن التعطيل , سيأتينا أنه داخل أكثر من فرقة. و لا بد أن نعتبر أن هذه الفرق حصل بينها مع تقدم الزمان تمازج في الأصول فضلا عن الفروع و هذا سيتبين لكم.

¹ أخرجه البخاري كتاب الأذان باب فضل صلاة الجماعة (645) و مسلم كتاب الصلاة باب فضل صلاة الجماعة و التشديد في التخلف عنها و أنها فرض كفاية (650) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

من باب التقريب الآن, الروافض فرقة لكنها في آخر القرن الثالث أضحت معتزلة في أبواب الصفات و في باب القدر و في أصول عقلية أي أضحوا معطلة. كذلك بعض فرق الخوارج كالإباضية أضحت معتزلة كما سيأتي.

إذن هذه الفرق حصل بينها تلاقح و تداخل في هذه الأصول. و هذا التداخل و التلاقح لا يعني أن هذه الفرقة انضوت إلى الفرقة الأخرى و لكن حصل امتزاج, لأن البدع ليس لها منهج ثابت و إنما منهجها ما يوافق أصل هذه البدعة. أما السنة و أهل السنة و الجماعة فهم من عهد النبي ρ و عهد صحابته إلى هذا الزمان و إلى أن يشاء الله على سنن واحد, كما وعد بذلك النبي ρ في قوله: " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم و لا من خالفهم حتى يأتي أمر الله و هم كذلك."¹

و تجد أهل السنة آخرهم يصدق أولهم, و أولهم يكون إماما لآخرهم. أهل البدع لا, المتأخرون منهم يخالفون المتقدمين, و سيأتي هذا في ذكر الخوارج الآن, فإن آخرهم و من افترق منهم خالف المتقدمين إما لجهلهم, اعتقادا أن المتقدمين كانوا جهالا أو اعتقادا أنهم كانوا خفي عليهم هذا الأمر. كما هو مشهور الآن عند بعض المتكلمين, أن مذهب السلف أسلم و مذهب الخلف أعلم و أحكم. فجهل الخلف من سلفهم. جهلوهم بأنهم لا يدرون هذه الأمور: مباحث الكلام و المباحث العقلية و التأويلات, لا يدرها السلف و لهذا كان مذهبهم مذهب السلامة فجاء المتأخرون فأحدثوا هذا الأمر الجديد.

المسألة الرابعة: في هذه الفرقة الناجية و بقية الفرق الهالكة في قول النبي ρ "كلها في النار إلا واحدة."²

"كلها" يشمل فرق النصارى و اليهود و فرق هذه الأمة أيضا المفترقة.

¹ أخرجه البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب قول النبي ρ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون" (7311) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه, و أخرجه مسلم كتاب الجهاد باب قوله ρ " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم" (1920) من حديث ثوبان. و قد نص شيخ الإسلام ابن تيمية على تواتره في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم و قد ذكره السيوطي في كتابه الأزهارالكتاني في نظم المتناثر (145)

² تقدم تخريجه.

"كلها في النار إلا واحدة" كلها في النار على سبيل الخلود أو على سبيل الوعيد؟ الصحيح أنه على سبيل الوعيد لأن هذه الفرق منها ما هو خالد في النار كفرق اليهود و النصرارى التي خالفت دين الله الذي أنزله على موسى و على عيسى عليهما الصلاة و السلام فهي في النار خالدة مخلدة لأنها كافرة, و كلهم كفار بعد بعثة النبي ρ و علمهم به لما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ρ قال: "و الذي نفسي بيده" في لفظ "و الذي نفس محمد بيده لا يسمع بي يهودي و لا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار."¹

في هذه الأمة فرقها منها فرق مخلدة في النار لكفرها لأنها خرجت من الملة و منها فرق متوعدة بالنار لمقارفتها كبيرة من الكبائر. و لهذا سمي أهل السنة من عهد السلف الصالح إلى الآن الفرق بأهل الأهواء و البدع لأن الباعث لهم على افتراقهم هو اتباعهم الهوى الذي أفضى بهم إلى ابتداع البدع و السلوك فيها و إن رأوها ديناً و إن رأوها حقاً و إن رأوها خيراً كما قال الله جل و علا في القرآن في سنته العامة (أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء و يهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن الله عليم بما يصنعون).

إذن هذه الفرق منها فرق في النار على سبيل الخلود و هي من كفرت و منها فرق متوعدة بالنار و هي من ضلت و يفرق العلماء بين هذين الصنفين بالفرق الكافرة المكفرة و الفرق المبتدعة المضللة المفسقة أي أنها لم تبلغ حد الكفر.

"كلها في النار إلا واحدة" و هي المسألة الخامسة: هذه الفرقة الواحدة هي الفرقة الناجية و جاء في بعض الألفاظ "إلا واحدة ناجية", و هذا المعنى يشهد لقوله كلها في النار إلا واحدة أي واحدة ناجية من هذا الوعيد بالنار و هم أهل السنة و الجماعة, هم أهل الحديث, هم أهل الإسلام, هم أهل الإيمان, هم أتباع السلف الصالح, هم من كان على مثل ما عليه النبي ρ و أصحابه.

¹ أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه و سلم إلى جميع الناس و نسخ الملل بملته (153).

قوله ρ لما سئل عنها: من هي يا رسول الله؟ قال: "من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي" في اللفظ الآخر "هم الجماعة" في اللفظ الثالث "هم السواد الأعظم".
في هذا رد على المناطقة و من تأثر بهم من الأصوليين و المتكلمين الذين يشترطون أن يكون التعريف جامعاً مانعاً و هي مسألة الحد المشهورة. فإذا عبر الشيء بمثاله أو بأنواعه أو ببعض صفاته قالوا هذا تعريف غير منطقي أو غير صحيح. فإذا عرف الذهب مثلاً بالعسجد قالوا هذا تعريف غير منطقي.

النبي ρ على اصطلاح هؤلاء الجهال تعاريفه غير منطقية لأن الحد ليس جامعاً و لا مانعاً كما زعموا. قال "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي" لأن من أولئك الفرق من هو متبع في بعض الأشياء لا في كلها، إما في قول لا إله إلا الله إما في أركان الإسلام إما في بعض الشعائر، و الرسول ρ قال "هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم و أصحابي" في اللفظ الآخر "هم الجماعة" في اللفظ الثالث "هم السواد الأعظم".

إذن لا يشترط في الحد أن يكون جامعاً مانعاً و هو الحد الأرسطي أو الحد المنطقي كما يسمونه. و سيخ الإسلام ابن تيمية لما نقض المنطق كما في رسالته (نقض المنطق) أقام النقض على أسس و منها نقضه ذلك الحد الأرسطي بأنه ليس هناك حد يمكن أن يصدق عليه أنه جامع مانع لكل شيء، جامع لكل صوره مانع من دخول غيره فيها. قال: إن أهل كل فن سواء زراعة أو صناعة أو حدادة أو فن علمي تعارفوا على أشياء بينهم جامعة للمسائل التي يريدونها و تعارفوا على ذلك و تألفوا عليها.

و لا يلزم أن يكون التعريف¹ جامعاً مانعاً على قيد المناطقة. و هذا القيد تأثر به الأصوليون فأثروا بهذا على الفقهاء بأن يكون الحد جامعاً مانعاً. أما في باب الفقه و التعاريف فالمسألة سهلة لأن المراد من بيان الحد هو الإفهام و إخراج غير هذه المسألة منها، لكن أن يسار إليه قانوناً يحتكم إليه و يخطأ من خالفه هذا هو الخطأ و لهذا ذم العلماء منطق اليونان. ذموه و كان السبب في ما دخل على المسلمين من أهواء كثيرة و بدع عظيمة بدأت في آخر المائة الثانية و أول الثالثة و تولى كبرها الخليفة المأمون.

¹ كلمة غير مسموعة

هذه المقدمة لا بد منها في دراسة أصول الفرق و هي كلها مدارها على هذا الحديث العظيم الذي هو علم من أعلام نبوة النبي ρ "افتترقت اليهود على إحدى و سبعين فرقة و افتترقت النصارى على ثنتين و سبعين فرقة و ستفترق هذه الأمة على ثلاث و سبعين فرقة."

الفرقة الأولى الخوارج:

لماذا بدأنا بها؟ و ما أسماء الخوارج؟ و متى كان بدء خروجهم؟ و ما هي أصولهم؟ و ما هي فرقهم؟ هذه المحاور العامة لدراسة هذه الفرق.

ظهور الخوارج

بدأنا بالخوارج لأنها أول الفرق ظهورا في تأريخ المسلمين. فمتى ظهرت؟ ظهرت في آخر حياة النبي ρ بعد غزوة حنين, بعد غزو أوطاس حيث أشار إليها ρ بخروجها و ظهورها من ضئضى رجل اعترض و أساء الأدب على نبينا ρ و على جنباه الشريف. ففي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ρ لما كان يقسم غنائم حنين جاءه رجل من نجد أعرابي غائر العينين نأتى الجبين ثائر الرأس يقال له عبد الله بن ذي الخويصرة فقال: يا رسول الله اعدل! فإنك لم تعدل. " اعدل في ماذا؟ في القسمة والعطية و تنفيل الناس أنفاهم و تقسيمه ρ الفيء. و معلوم أن ما أصابه النبي ρ في حنين منه ما هو غنيمة و منه ما هو فيء أصابوه بهروب الناس من أموالهم, لم يوجف عليها بخيل و لا ركاب.

و هذا الفرق بين الغنيمة و الفيء. فالغنيمة ما أخذ من العدو بجهاد و إيجاب خيل و ركاب عليهم و منه السلب, و إن كان السلب من مخصوص الغنائم أن النبي ρ أضافه لمن سلبه, و هذه من أحكام السلطان.

الثاني الفيء و هو ما أخذ من العدو من غير قتال, من غير إيجاف خيل و لا ركاب كما أخذ من بني قريظة.

و الفرق الثاني أن الله تولى قسمة الغنيمة في آية الأنفال ﴿ و اعلموا أن ما غنمتم من شيء فأن لله خمسة و للرسول و اليتامى و المساكين ﴾ الآية.

و الفيء أفاءه الله جل و علا فجعله لفقراء المهاجرين ثم للذين تبوءوا الدار و الإيمان ثم ثالثا الذين جاؤوا من بعدهم ﴿ يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾.

و لهذا استدل الإمام مالك بن أنس و يروى عن الشافعي و عن غيرهم أنهم أخرجوا الروافض من استحقاقهم الفيء بل أخرجوا الخوارج و كل من سب الصحابة من استحقاقهم الفيء لأن في قلبه غلا و حقدًا على الصحابة فلا يستحق من الفيء شيء و الله جل و علا قيد أهلها بقوله ﴿ و الذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا و لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ﴾.

جاء هذا الرجل الذي هو أعرابي و هذه صفة خلقه فقال: يا رسول الله اعدل فإنك لم تعدل. فقال النبي ﷺ: "ويلك! خبت و خسرت إن لم أعدل و من يعدل إن لم أعدل." لأنه رأى أن النبي ﷺ نفل المؤلفه قلوبهم ما لم ينفل غيرهم و أن الأنصار خصوصا لم يعطهم من هذه الأنفال شيئا و إنما وكلهم على إيمانهم و هو أعرابي مندفع متعجل جاهل اعترض على مقام النبي ﷺ . كان عند رسول الله ﷺ عمر أو خالد بن الوليد فقال: يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه, لأنه أساء الأدب و لأنه اعترض على رسول الله ﷺ بالظلم واتهمه بعدم العدل و هذه مسبة له عليه الصلاة و السلام.

فقال ﷺ: "دعه فإنه سيخرج من ضئضئ هذا." و هذا الشاهد: من ضئضئه أي من أصل مقالته و من منهاج قوله و على طريقته.

"سيخرج من ضئضى هذا قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم و صيامكم إلى صيامهم
يقرؤون القرآن أكثر مما تقرؤون لا يجاوز حناجرهم" أو قال "تراقيهم, يمرقون من الدين مروق
السهم من الرمية."¹ هذا هو تأريخ خروج الخوارج.

إذن وجد أصلهم و نكتهم في آخر عهد النبي ρ و ظهر هذا الذي أحبر به ρ في عهد
أصحابه. فإن هؤلاء ظهروا في عهد عثمان ثم تناموا و تابعوا, فظهروا و خرجوا على علي
رضي الله عنه, ثم ما زال شرهم في ازدياد إلى هذا الزمان و هم يتنوعون في خروجهم.

أسماء الخوارج

ما أسماء الخوارج؟ لهم أسماء عديدة. الاسم الشهير لهم الخوارج و سمو بهذا الاسم و وصفوا
بهذا الوصف و هو في الحقيقة وصف أضحى اسما لأنهم خرجوا على جماعة المسلمين.
فخرجوا على الرسول ρ بهذا القول و هذا خروج بالقول و الرأي, ثم خرجوا على عثمان ثم
خرجوا على علي, ثم خرجوا على خلفاء المسلمين في عهد بني أمية و في أوائل عهد بني
العباس و ما يزال هذا شأنهم: الخروج على جماعة المسلمين.

من أسمائهم البغاة و سمو بالبغاة لأنهم بغوا على جماعة المسلمين, بغوا على عثمان كما قال
القحطاني في النونية

ويل للقوم الذين سعوا إلى عثمان فاجتمعوا على الخذلان
في بعض النسخ:

ويل للقوم الذين بغوا على عثمان فاجتمعوا على الخذلان
فهم بغاة و البغاة اسم لمن خرج على الجماعة بالسيف لقطع الطريق, و هذا كان أول
خروجهم قطع طريق الحج و امتحنوا الناس لأجل ذلك.

¹ أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة (3610-3611) و مسلم كتاب الزكاة باب
ذكر الخوارج و صفاتهم(1063).

من أسمائهم الشراة و سمو بذلك لأنهم يزعمون أنهم شروا أنفسهم من الله كما قال الله جل و علا مادحا المؤمنين ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم بأن لهم الجنة ﴾. قالوا نحن الشراة.

من أسمائهم أيضا الحرورية لأنهم اجتمعوا في أرض يقال لها حروراء بظاهر الكوفة بينها و بين الكوفة ميلين. و لهذا مر عليكم في حديث معاذة بنت عبد الله أنها سألت أم المؤمنين عائشة فقالت: " يا أماه ما بال الحائض تقضي الصيام و لا تقضي الصلاة. فقالت لها عائشة رضي الله عنها: " أ حرورية أنت!". إشارة إلى قول الخوارج الذين من تشددهم أنهم أمروا نساءهم بقضاء الصلاة كما يقضين الصيام.

قالت: لا يا أماه و لكني أسأل فقالت رضي الله عنها: " كان يصيينا ذلك على عهد النبي ﷺ فتؤمر بقضاء الصيام و لا تؤمر بقضاء الصلاة." ¹

و يطلق عليهم المحكمة الأولى, لأن هناك المحكمة الثانية. المحكمة الأولى الذين خرجوا على عثمان و الذين قالوا لا حكم إلا لله لعلي رضي الله عنه. من سادتهم عبد الله بن الكوى و حرقوص بن زهير السعدي و جماعة غيرهم. و هناك المحكمة الثانية الذين امتحن الناس في دينهم و قالوا لا حكم إلا لله. هذه أشهر أسماء الخوارج و ستأتي أسماء فرقهم.

أول خروج الخوارج الفعلي

أول خروج الخوارج الفعلي بعد عهد النبي ﷺ كان كما يذكره المؤرخون بسبب رجل يهودي من يهود اليمن صنعاني, هو عبد الله بن سبأ ابن السوداء اليهودي اليماني الصنعاني فإنه انغمص بدخول الإسلام البلاد و قلوب العباد و أراد إفساد الإسلام كما أفسد سلفه بولس دين عيسى بالتحريفات. حتى قالوا إن بولس هو أول من ادعى أن عيسى ابن لله و أنه ثالث الثلاثة, هذه العقيدة التي اتفقت عليها فرق النصارى للأسف بعد انحرافهم و ميلانهم عن منهاج عيسى عليه الصلاة و السلام.

¹ أخرجه البخاري كتاب الحيض باب لا تقضي الحائض الصلاة (321) و مسلم كتاب الحيض باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة (335).

عبد الله بن سبأ أراد إفساد هذه الملة المحمدية و الشرعة النبوية و أراد إفساد الإسلام بهذه الفرق. فألب الناس أولاً على عثمان بنشر مثالبه و إذاعة أخطائه و عيبته بين الناس: كيف يولي فلانت و هو فيه كذا و كذا و كذا...؟! كيف أنه استأثر بهذا الأمر في بني أمية بني قومه؟! " ما زال يؤلب الناس في العراق, و العراق بلد فتنة. لمه ؟ لأن جلة أهلها من الأعراب, من الفاتحين و هم أعراب في الجملة. العلم فيهم قليل, الفاتحون اتجهوا شمالاً و شرقاً و غرباً و هؤلاء بقوا في العراق. ما لهم هم إلا أنهم جاؤوا من الجزيرة من أرض جذبي قحطى إلى بلاد أنهار و خيرات فصاروا **فاضين**. اندفاع و بداوة و جهالة في مرتع ليس فيه كبير عناء. في بلادهم يمضي عليهم الأيام و هم يتبعون الكلاً أما في تلك البلاد فرغد عيش, الأنهار تجري و نخيل و بساتين. فعند هؤلاء صارت بيئة خصبة للقليل و القليل لأنه لا علم و الصحابة و المجاهدون الفاتحون في الثغور في خراسان, في بلاد ما وراء النهر في أذربيجان, في جهاد الروم. فوجد الخبيث مرتعه في هؤلاء الجهال. فأعظم أسباب الافتراق الجهل و أعظم الموانع من الافتراق العلم و هذه السنة سائرة في كل زمان.

جاء الخبيث فبث مقالاته في تثليب الناس على الأمير لأن الدنيا فتحت و الناس إنما يستشارون من جهة الدنيا و من جهة الأموال: أن عثمان فعل و فعل و فعل...!! ينشر مثالبه و يعدد ما يعاب عليه و ينشره حتى وجد من يصغي له في تلك البلاد.

هذا ابن سبأ له رسالة! ما قنع بالعراق حتى غرس فيها مقالته و بذرة السوء التي ابتذرها. فذهب إلى الشام و أشاع ذلك فلم يسمع له و إنما عابوا عليه قوله. فخرج منها إلى مصر و كانت مصر قد فتحت في أول الأمر فوجد في مصر من يقبل مقالته فما زال أولئك يستتبعون هذا الأمر إلى أن كانت لهم شوكة في مصر و في العراق.

قدم المدينة فسمع له بعض من في المدينة و في اليمن, إلى أن تكاتب أولئك بعضهم مع بعض على أنهم يقدمون المدينة و يعزلون عثمان على الخلافة... القصة المشهورة: أنهم قدموا على هيئة أنهم جاؤوا للحج و لم يأتوا للحج و إنما أتوا لإفساد هذه الأمة و ثلم أمرها. كانت النتيجة من هذا كله قتل عثمان. قتلوا عثمان قتلهم الله! في قصة مقتله المشهورة. و هذه أول ما كان من آثار فرقة الخوارج, الآثار العفنة. خروج بالرأي على رسول الله ﷺ و اعتراض على

حكّمه. خروج بالرأي في مثالب الإمام الخليفة الراشد عثمان و نشرها و إذاعتها و تأليب العوام و الجهال عليها إلى أن اقتنعوا بها ثم تم ذلك بالخروج عليه فعلا بقتله.

الخروج على السلطان ما يأتي من الباب للطاقة مباشرة! لا بد له من إرهابات و مهيجات بنشر المثالب إما على المنابر إما في مجامع الناس إما في مجالسهم إلى أن ينشأ على ذلك الصغير و يهرم عليه الكبير. فعندئذ فينغرس في القلب البغض لهذا الإمام, يزداد هذا الأمر إلى تبديعه أو تكفيره, يزداد هذا الأمر إلى قتله و لهذا منهم من كان يكفر عثمان. و الحقيقة أن الخوارج اتفقوا على تكفير علي و عثمان رضي الله عنهما كما نص على ذلك المحققون و منهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

هذا هو سنن الخروج على الجماعة يبدأ بهذه المراحل: خروج بالرأي ثم نشر للمثالب و المعايير في الأوساط الممكنة المستطاعة لهم. في هذا الزمان نشرها إما على المنابر سواء منابر المساجد أو منابر الناس: الإنترنت منبر, وسائل الإعلام المقروءة و المسموعة و المرئية منبر, مجالس الناس الخاصة منبر. ينشرها بحسب مستطاعه إلى أن يصل الأمر إلى إما تكفير هذا الإمام أو تضليله بأنه لا يستحق الإمامة و نتائج ذلك بالخروج عليه بقتله إن تمكنوا أو بتكفيره و تكفير من يرضى بحكمه و قوله. و هذا سنن الخوارج قديما و سننهم أيضا حديثا في هذه العصور المتأخرة.

قتلوا عثمان فكان بعد مقتله المصيبة العظيمة على المسلمين. فرح بهذه المثابة شعوب من الشعوبيين الذين شرقوا في الإسلام دخل بلادهم و أزال ملكهم و أطاح برئاستهم شرقوا به فكانوا ممن حملوا هذا القول.

كان ما كان بعد مقتل عثمان, فطالب أهل الشام بالقصاص من قتلة عثمان. و علي رضي الله عنه الذي بويع له بالخلافة مباشرة بعد مقتل عثمان من جماهير الصحابة لأن أمر الناس و أمر الجماعة لا يستقيم إلا بإمام, لا يستقيم لا عقلا و لا طبعاً و لا واقعا و لا شرعا أمر الجماعة إلا بإمام. لا يمكن!!!

بايعوا لعلي رضي الله عنه و عنهم. طالب من طالب بدم عثمان و علي لم يجحد ذلك و لكن قال: "أمهلوني حتى أميزهم" لأنهم دخلوا بين الناس.

فكان من قضاء الله و قدره ما كان في أمر الجمل ثم بعد الجمل بستين أو ثلاثة أو نحوها جاءت صفين فأظهرت الخوارج فرقة منحازة عن جماعة المسلمين معروفين بأعيانهم و سادتهم و أفرادهم.

اجتمع في صفين عشرات الآلاف من أهل العراق و أهل الشام تحت رايتين: راية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه و راية أهل الشام تحت معاوية و من معه رضي الله عنهم. في المعركة عظم الخطف و كثر القتلى و كادت الغلبة أن تكون لعلي و من معه, فرأى أهل الشام أن يرفعوا المصاحف على أسنة الرماح يتقون القتل و يتحاكمون لشرع الله, يطلبون الحكم لله. ففعلوا ذلك, فأمر علي بأن لا يرضخ لمقاتلتهم. فانحاز أولئك الدهماء من الخوارج الذين لا عقل لهم يحتكم إليهم و لا علم يعرفون به مقاصد الشريعة و أحكامها. فقالوا: "يا علي! يا أمير المؤمنين, القوم يدعوننا إلى كتاب الله و نأبي."

فما زالوا عليه إلى أن أنزلوه على أن يقبل الاحتكام إلى كتاب الله, فكان أمر الحكمين. علي رضي الله عنه ندب أبا موسى الأشعري عبد الله بن قيس الأشعري اليماني و أهل الشام ندبوا عمرو بن عاص, والد عبد الله رضي الله عنهما. عندئذ خرج الخوارج. قالوا: لا حكم إلا لله, كيف نحكم الرجال في دين الله؟ فكفروا علياً لأنه حكم الرجال في دين الله. فخرجوا على علي و انحازوا إلى أرض تسمى بحروراء فسموا بالحرورية.

الني p ذكر خروج الخوارج و لهذا قال الإمام أحمد صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه و قد أخرجها مسلم في الصحيح و أخرج البخاري منها بعضها كما ذكر ذلك شيخ الإسلام بن تيمية كما في الفتاوى.

منها الحديث الذي رواه البخاري أن النبي p قد تنبأ و أخبر بخروجهم. فخروجهم علم من أعلام النبوة لأنه أمر لم يقع وقع بعده بخبره.

قال p: "سيخرج قوم آخر الزمان أحداث الأسنان" أعمارهم صغار أسنانهم صغيرة, حديثه, ما فيهم شيوخ, أهل عقل و حكمة و بصيرة و إنما أحداث أسنان.

"سفهاء الأحلام" أي لا عقول لهم. السفية في كتب الفقه الذي يحجر عليه هو الذي لا يحسن التصرف لا في نفسه و لا في ماله. ليس مجنوناً و لا معتوهاً و لا مرجوحاً و إنما سفية مندفع مجازف لا يحسن التصرف. يجوز فعله لكنه حفظاً له يحجر له.

هؤلاء سفهاء الأحلام, ليسوا مجانين بل إلى الجنون أقرب و إلى الخبل و العتة, لكنهم ليسوا مجانين, مندفعين غوغائيين أهل شوشرة.

يقولون: "و إن خاصمت خاصم عاقلاً" أما إذا خاصمت سفيها أو مجنوناً لا تحصل من وزرائه شيء. كذلك السفية ليس لك إليه سبيل لأنه ليس له عقل تحتكم إليه في أصل النزاع.

"أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية" يعني يصدقون في الحديث كلامهم كلام الله و كلام رسوله.ρ

"يقولون من خير قول البرية بألسنتهم" لاحظوا بالكلام خير الرجال لكن بواطنهم و أعمالهم خلاف ما عليه أهل الإسلام. و لهذا من أعمالهم يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان و هم يقرؤون القرآن يصلون يصومون و يتجهدون حتى جاء من وصفهم أن جباههم عجفاء مثل معاطن الركاب من شدة قيامهم و سجودهم و قنوتهم.

"لا يجاوز إيمانهم حناجرهم يرقون من الدين مروق السهم من الرمية" أي ما أسرع خروجهم من الدين باسم الدين.

"فأين ما لقيتموهم فاقتلوهم" معنى "فاقتلوهم" أي فاقتلوهم و هذا أمر مناط بولي الأمر لأن هذا هو هدي السلف و عملهم. السلف ما قاتلوا الخوارج أفراداً و إنما قاتلوهم تحت راية علي رضي الله عنه. لهذا لما خرج الخوارج على عثمان و أبي عثمان مقاتلتهم ائتمر الصحابة بأمره و ما كانوا عصاة لا لله و لا لأمر المؤمنين, لأن أمر المقاتلة ليس أمراً فوضوا و إنما متعلق بولي الأمر لأنها من صلاحية ولي الأمر و من سياسته و أحكامه السلطانية التي يسوس بها الناس.

"فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة." أخرجه البخاري في الصحيح.¹

في اللفظ الآخر عند الإمام أحمد و عند الترمذي و ابن ماجه و غيرهم عن أبي أمامة الباهلي صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه أن النبي ρ قال: "الخوارج شر قتلى تحت أديم

¹ كتاب المناقب باب علامات النبوة (3611)

السماء خير قتيل من قتلوه و خير قاتل من قتله"¹ و قال: لئن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد" و سماهم أيضا بأنهم كلاب النار.²

و جاء من أوصافهم في الأحاديث قوله ρ "تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه"³ أي كل يوم لهم طريقة, و عادة و فرقة و قول. لم؟ لأنهم سفهاء في أحلامهم جهال في علمهم, ما وافق عقولهم قالوا به, و هذا شعار أهل التكفير أنهم تتجارى بهم الأهواء. كل يوم لهم هوى ما لهم أصل ثابت يعول عليه قديما و حديثا. التكفيريون في هذا الزمان لهم شبه كبير بالخوارج, حتى أخرجنا ممن تاب منهم أنهم كانوا في المجلس الواحد يكفر بعضهم بعضا ست مرات سبع مرات, و يؤولون الأدلة و يردونها لأنها لا توافق أهواءهم. "كما يتجارى الكلب بصاحبه" يعني تتلاعب بهم الأهواء لعدم علمهم و عدم عقلهم فعقولهم عقول سفية كما قال الرسول ρ "سفهاء الأحلام" و لا علم عندهم. عندهم عبادة و جلد على العبادة لكن ليس عندهم العلم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم أو تراقبهم.

من الأغلاط المنهجية في هذا أن من الناس من يمدح فرقة من الفرق أو جماعة من الجماعات أو غيرهم بعبادتهم: و ها العبادة!! و ها التحمل! و ها قيام الليل! هذا بحد ذاته لا بد أن ينضاف له اعتقاد و إلا فلا ينفع فالخوارج ما نفعتهم عبادتهم بل عبادتهم فضلت عبادة الصحابة رضي الله عنهم بشهادة النبي ρ حيث قال: " يأخذون من

¹ أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ρ باب و من سورة آل عمران (3000) و قال هذا حديث حسن, و ابن ماجه في المقدمة باب في ذكر الخوارج(176).

² أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب قول الله عز وجل ﴿ وَأما عاد فأهلكوا بريح صرصر ﴾ شديدة ﴿ عاتية ﴾ (3344) و مسلم كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفلة قلوبهم على الإسلام و تصبر قوي الإيمان (1064).

³ أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب العلم باب توقيف العلم (443) .

الليل أكثر مما تأخذون و يصومون أحسن مما تصومون و يصلون كما تصلون. يقرؤون القرآن أكثر مما تقرأون لا يجاوز حناجرهم يقولون بألسنتهم من خير قول البرية.¹ خير قول الناس لكن قلوبهم سوداء , جهال نظرهم إلى المسلمين نظرة سوء بتكفيرهم أو تبديعهم أو بتضليلهم أو - و العياذ بالله - قتلهم.

مناظرة ابن عباس ؓ للخوارج

لما انحاز الخوارج إلى نهران كفروا عليا قالوا: "كفرت يجب عليك أن تتوب إلى الله!" من الذي يطالب عليا بالتوبة؟ هؤلاء الجهال, الأعراب, سفهاء الأحلام, حدثاء الأسنان! يطالبون عليا رابع الأربعة, صاحب النبي ﷺ بأن ينزع نفسه من إمامة المسلمين و أنه كفر و أنه يجب أن يتوب! الجاهل يطلب من العالم ذلك!!! و من العالم؟ من أصحاب النبي ﷺ . لأن بدعتهم بدأت بالتوسع شيئا فشيئا. فلما كفروا عليا, قالوا كل من رضي بحكم علي هو كافر, و عثمان كافر, و أهل الجمل و الصفيين كفار. توسعوا بعد ذلك, فقالوا: لماذا قاتل علي هؤلاء قتلهم و ما سباهم؟ إذا هو ظالم و مع ذلك هو كافر. فخرجوا عليه و انحازوا إلى نهران و معهم أتباع حتى قيل إنهم تسعة آلاف أو ثنا عشر ألفا من أهل هذه الصفة بالعبادة و التأله.

علي رضي الله عنه في أول الأمر رفق بهم رفقا عظيما في مناظرتهم و جدالهم و البيان لهم و ما يزدادون إلا عتوا و عنادا إلى أن انحازوا إلى نهران.

فبعث إليهم علي الصحابة و العلماء العقلاء يبينون لهم. و ممن بعث إليهم عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما. لما جاءهم ابن عباس قال بعضهم لبعض من هذا؟ قالوا هذا عبد الله بن عباس ابن عم علي. فقال بعضهم من كبارهم - قيل هو عبد الله بن الكوى و قيل حرقوص بن الزهير و قيل غيره - قال: " لا تسمعوا لهذا الرجل فإنه من قوم قال الله فيهم (ما

¹ لم أجده بهذا اللفظ و أخرج البخاري و غيره حديثا في معناه بلفظ "يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم و صيامه مع صيامهم" كتاب المناقب باب علامات النبوة (3610) و مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج و صفاتهم (1064).

ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون). الآية نزلت في كفار قريش و جعلوا ابن عباس رضي الله عنهما, من فقههم, من كفار قريش الذين قال الله فيهم ذلك. فوضع بعضهم أصبعيه على أذنيه.

قال ابن عباس رضي الله عنه لمن استمع إليه منهم: "ما تنقمون على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه؟ قالوا: ليس لنا بأمر!"

قال: "ما تنقمون عليه؟"

قالوا: "ننقم عليه أشياء كثيرة أعظمها ثلاثة. أولاً أنه قاتل و لم يسبي في الجمل و في صفين. ثانياً أنه نزع نفسه عن إمرة المؤمنين (ذلك لما وضع الحكمين أبو موسى من جهة علي رضي الله عنه و عمرو بن العاص من جهة أهل الشام). ثالثاً أنه حكم الرجال و لم يحكم القرآن. فأجابهم ابن عباس على كل واحد منها.

الدرس الثاني

...

و عبد الله بن عباس وقعت له المناظرة الشهيرة مع كبراء الخوارج و كان تولى كبر أمرهم عبد الله بن وهب الراسبي و عبد الله بن الكوى و شبت بن ربي و حرقوص بن زهير السعدي و أشباههم. لما قدم عليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما, قال بعضهم لبعض: "لا تسمعوا لهذا و لا تجادلوه فإنه من قوم قال الله جل و علا فيهم (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون)

و هذا يدل على عمق جهل هؤلاء و ضلالهم حيث أنزلوا آية في مشركي مكة فجعلوها في حبر الأمة و ترجمان القرآن صاحب رسول الله ﷺ. و هذا شأنهم كما قاله ابن عمر رضي الله عنهما فيما رواه البخاري عنه في صحيحه حيث قال عن الخوارج: "إنهم أتوا إلى آيات نزلت في المشركين فجعلوها في المؤمنين".¹ و من تحريفهم كلام الله و إنزاله على من لا

¹ أخرجه البخاري تعليقا في كتاب استتابة المرتدين و المعاندين و قتلهم باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم.

يستحق أن ينزل عليه أنهم قالوا في علي رضي الله عنه إنه، في شأنه و شأن أصحابه من كبار الخوارج - يعني عبد الله بن وهب و حرقوص بن زهير و ابن الكوى و شبت ابن ربيعي - شأن علي معهم كما قال الله جل و علا (كالذي اسحوذته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) فقالوا إن هذا الحيران هو علي رضي الله عنه و أصحابه هم كبارنا و سادتنا لما قالوا له: "دع حكم الرجال و تعال حكم شرع الله."

ابن عباس رضي الله عنهما قال: " ما تنقمون على علي رضي الله عنه؟" قالوا: "ننقم عليه ثلاثا." أي رضي منهم أن يجادلوه و يناقشه.

أولها أنه حكم الرجال في دين الله و لا تحكيم في دين الله إلا بالقرآن. يشيرون إلى تحكيم الحكمين أبي موسى الأشعري من قبل علي رضي الله عنه و إلى عمرو بن العاص من قبل معاوية و أهل الشام رضي الله عنهم.

الأمر الثاني أنه نزع اسم الخلافة منه عند التحاكم، فقال هذا ما اتفق عليه علي ابن أبي طالب و معاوية و لم يقل أمير المؤمنين. فلما نزع اسم الإمارة عنه فإنه ليس الآن للمؤمنين بأمير.

الثالثة أنه قاتل عدوه و لم يسب. لأنه استقر عندهم أن المقاتلين لا بد أن يكونوا كفارا، و إلا فبأي معنى يستباح و يستحل قتالهم.

فقال رضي الله عنه: أجيبهم عن هذه الثلاث. أما أنه حكم الرجال فالله جل و علا في القرآن، في شأن أقل من شأن القتال و الدماء، حكم فيه الرجال: في الخصومة بين المرأة و زوجها (فابعثوا حكما من أهله و حكما من أهلها إن يريدوا إصلاحا يوفق الله بينهما).

و هذا شأنه أقل من شأن الدماء فقالوا: هذه انتهينا منها. و هنا التحكيم هو الصلح و ليس التحاكم إلى هذين الرجلين، إنما هو الصلح بين الفئتين.

أما الثاني أنه نزع اسمه عن إمارة المؤمنين، فقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "علي أفضل أم رسول الله ﷺ؟" قالوا: "بل رسول الله أفضل من علي؟" فقال ابن عباس: "هذا رسول الله ﷺ نزع اسم الإمامة و النبوة و الرسالة لما عاهد و صالح أهل مكة. فإنه لما كتب علي - و هذا من محاسن الاتفاق - فإن الكاتب لذلك العهد و الصلح هو علي رضي الله عنه.

كتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو، و كان مفاوض و مندوب أهل مكة: " ما ندري ما الرحمن و لا الرحيم! اكتب باسمك اللهم. " فكتب باسمك اللهم. ثم قال: "هذا ما عاهد عليه رسول الله" قال: " لو آمننا بك رسولا ما قاتلناك. اكتب اسمك. فقال ρ لعلي رضي الله عنه: " اكتب هذا ما عاهد عليه محمد بن عبد الله. " قالوا فأبي علي أن يمحوها بعدما كتب رسول الله.¹ فقال له النبي ρ: "دلي عليها." فأراه مكانها فمحاها بإصبعه الشريف ρ. إذا لما محاً رسول الله ρ اسم النبوة و الرسالة: هذا ما عاهد عليه محمد رسول الله. هل يعني هذا أنه في نفس الأمر ليس رسولا لله؟ لا يعني ذلك و لكنه أراد المصلحة العظمى في هذا الصلح و ما ينتج عنه للمسلمين من الفتح العظيم حيث سماه الله جل و علا فتحا (إنا فتحنا لك فتحا مبينا).

و هذا علي كذلك أراد بالصلح أن يجتمع أمر المسلمين فهو و إن لم يكتب أمير المؤمنين فإنه للمؤمنين أمير بالبيعة التي نالها من أعناقهم و له عليهم في رقابهم. فقالوا انحللنا منها. بقيت الثالثة و هي أنه قاتل عدوه و لم يسبهم. و السبي إنما يكون للرجال و للنساء فيصيرون أرقاء.

فقال لهم ابن عباس رضي الله عنهما: "أ تريدون أن تسبوا أمكم - أم المؤمنين - عائشة رضي الله عنها؟ و كانت في عسكر الجمل. من يستحل أن يسبي أم المؤمنين عائشة إلا و يكفر الكفر الأكبر لأذيته رسول الله ρ في عرضه. فانحلوا من هذه الثالثة. كل هذا في مقابل قوم اتهموا عائشة بالفعل القبيح و لم يزالون يتهمونها بالفعل القبيح أنها زنت. و هي العفيفة الطاهرة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها و عن أبيها:

أكرم بعائشة الرضى من حرة بكر مطهرات الإزار حصان و أذية عائشة بهذا القول، الحقيقة ليس المقصود لا عائشة و لا أبوها. من المقصود في أذيتها بالفعل القبيح؟ عرض النبي ρ، يدرك هذا العقلاء. لأن عائشة بدلها ألف عائشة و بدلها ألف امرأة و مع ذلك يبقى عليها رسول الله ρ من حين اتهمت بهذا الفعل إلى أن برأها الله إلى أن مات عنها بعد هذه الحادثة بأكثر من خمس سنين، يبقى عليها و يجعلها حليلته و

¹ أخرج ه البخاري في كتاب الشروط باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (2731-2732) و مسلم في كتاب الجهاد باب صلح الحديبية (1784)

زوجته و أحب نسائه إليه. المقصود بهذا هو رسول الله ﷺ في أذية عرضه و هذا الأمر الذي فطن له العلماء في أن مسبة عائشة المراد منها أذية رسول الله التي تفضي إلى القدح في نبوته و رسالته و أنه بناء على طرد هذا المعتقد ليس كفتنا أن يكون نبيا رسولا مصطفى تعالى - عليه الصلاة و السلام - عما يقول هؤلاء علوا عظيما.

لما أن ناظر ابن عباس دهماء الخوارج و عامتهم رجع أكثرهم, و تفاوت أقوال المؤرخين في عدد الذين رجعوا: قبل تسعة آلاف و قيل اثنا عشر ألفا و قيل أقل و قيل أكثر. فلم يبق إلا متعصبتهم و قلة منهم و أولئك الذين قاتلهم علي رضي الله عنه يوم النهروان سنة ثمان و ثلاثين. قاتلهم يوم النهروان بعد ما أعذر إلى الله جل و علا منهم و أجمع الصحابة على قتلهم فحملوا عليهم فقتلوهم إلا تسعة فروا.¹

و كان علي في هذه المعركة لا يتبع فارهم و لا يجهب علي جريحهم. كل ذلك تأولا أن يرجعوا و لكن هؤلاء الذين بقوا إنما كان في قلوبهم الاعتقاد بأنهم على الحق و علي كافر و من معه كفار, بل و كفروا عثمان كما سيأتي في أصول الخوارج.الذين فروا تسعة و قيل أكثر و قيل أقل تركوا.

بعد المعركة أمر علي رضي الله عنه أن يبحث عن رجل معهم له صفة بينها النبي ﷺ أنه شديد السمار, "آدم شديد الأدمة و أن إحدى يديه كالبضعة تدردر"², قيل اليمنى و قيل اليسرى, لا عظم فيها و إنما هي عصب و عضل.

"كالبضعة" كبضعة المرأة أي كتديها.

"تدردر" أي تتحرك من غير إرادة.

فبحث عن الرجل فلم يعثر عليه فغضب علي رضي الله عنه غضبا عظيما. يخشى أنه أعمل سيفه في المؤمنين, حتى بحث عنه فوجد في أسفل القتلى و أخبر علي رضي الله عنه ففرح و

¹ أخرجه الحاكم في المستدرک كتاب قتال أهل البغي ... و قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه و وافقه الذهبي.

² أخرجه البخاري كتاب المناقب باب علامات النبوة (3610) و مسلم كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج و صفاتهم (1063)

جاء حتى نظر إليه بعينه, و قال: "ما كذبت و ما كذبت." فلما رآه بعينه خر رضي الله عنه ساجدا في أرض النهروان سجود شكر لهذه النعمة.

و هذا من أدلة الفقهاء في استحباب سجود الشكر حيث قال صاحب الزاد الشيخ موسى الحجاوي: " و يستحب سجود الشكر عند تجدد النعم و اندفاع النقم."

النعمة التي تجددت هاهنا أن عليا رضي الله عنه لما رأى هذه الآية و العلامة التي أخبر بها النبي ﷺ في هؤلاء القوم الذين يمرقون من الدين و الذين شأنهم كما سبق " لا تقوم الساعة حتى يخرج قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون بغير قول البرية بألسنتهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم. يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية. فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم و هم شر قتلى تحت أديم السماء. آيتهم رجل أسود إحدى يديه كالبضعة تدردر."¹

لما رأى علي ذلك حمد الله و شكره أنه جعل سيفه في هؤلاء القوم الذين هم كلاب النار و شر قتلى تحت أديم السماء.

بعد النهروان, قامت لهم قوائم يسيرة. تقوم قائمة بمئتين و ثلاثمائة و أقل و أكثر و كان يفنيها علي رضي الله عنه. حتى هددوا و طووا على قلوبهم لأنه انكسرت شوكتهم إلى أن جاء في سنة تسع و ثلاثين و بعدها بأشهر عبد الرحمن بن ملجم و قد تعاهد مع اثنين من الخوارج في يوم واحد أن واحدا منهم يقتل عليا و الآخر يقتل معاوية و الثالث يقتل عمرو بن العاص. لم ؟ لأن الشأن في قلوبهم شأن اعتقاد! اعتقدوا كفر هؤلاء, فتعاهدوا على قتلهم. عبد الرحمن بن ملجم أنفذ ما أراد و ضرب عليا رضي الله عنه لما خرج لصلاة الفجر في جامع الكوفة بسيفه على رأسه, فما بقي بعدها إلا يسيرا و مات رضي الله عنه. لهذا متأخرو الخوارج كعمران بن حطان - و هو من رواية الصحيحين و من كبار الخوارج لأنه من الصفرية - مدح عبد الرحمن بن ملجم. مدحه بمدحته التي أثنى فيها على فعل عبد الرحمن أنه ما أراد بهذه الضربة إلا أن يبلغ عند ذي العرش رضوانه.

الخوارج بعد مقتلة النهروان, ما قامت لهم شوكة و إنما أصبحت أمرهم بالدعوة السرية إلى أن قامت لهم شوكة في آخر المائة الأولى, بعد الخامسة و الستين من الهجرة, أصبح لهم خروج

¹ تقدم تحريجه.

متفاوت كما سيأتي. هؤلاء الذين قتلوا انتهوا فجاء تسعة بعدهم متفرق, منهم من ذهب إلى نجد و منهم من ذهب إلى عمان و منهم ذهب إلى الجزيرة بين النهرين دجلة و الفرات و منهم من ذهب إلى خرسان و منهم من ذهب إلى مصر و منهم من ذهب إلى المغرب. فأصبحوا يدعون لمذهبهم. و مذهبهم سيماه كثيرة التنقل. و هذا الافتراق في الخوارج أكثر افتراق عرف مع أن المذهب ما يحمل في طياته أسباب البقاء, و إنما يحمل أسباب الفناء في موقفهم من أصحاب المعاصي و موقفهم من مخالفين و موقفهم من أهل الذنوب. و لهذا من قرأ تاريخ الخوارج في المائة الأولى, يجتمع رجالان ثم يحصل من أمير لهم أمر يخالف ما عنده فيكفرونه فيتبرؤون منه و يخرجون عليه فإن قدروا على قتله قتلوه و إن لم يقدروا على قتله فإنهم يكتفون بالبراءة منه. و هذا شأنهم في ذلك الزمان و شأنهم في كل زمان. من لا يوافقهم في كل ما عندهم فإنهم إما يتبرؤون منه أو يضللونه أو يكفرونه فيستبيحون دمه و ماله و عرضه.

أصول الخوارج و فرقهم

ثمة أصول لا بد أن نعرفها في الخوارج:
أولاً أنهم أول من كفر المسلمين بالذنب. فهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب بل بما يروونه هم من الذنوب: أن هذا ذنب و هذه معصية. إذا رأوها كذلك و إن كانت عند غيرهم ليست كذلك فإنهم يكفرون صاحبها. فهم أول من كفر المسلمين بل و يكفرون من خالفهم و يستحلون دماءه و عرضه. ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلا ما سيأتي في ما ابتدعه الإباضية بعد ذلك.

إذن الخوارج أول من كفر الناس بما يروونه من الذنوب. و الكفر هنا كفر معين و كفر مطلق ثم استحلوا دماء من كفروه و استحلوا أعراضهم.

الأمر الثاني أن الصحابة رضي الله عنه أجمعوا على قتالهم و جهادهم بل قال ابن عمر رضي الله عنه و عن أبيه: "إنهم شر قتلى تحت أديم السماء."

من أصول الخوارج أنهم يترضون عن أبي بكر و عمر و يصححون إمامة عثمان في أول الخلافة نحو عشر سنين ثم كفروا عثمان لما وقع فيه من الذنوب بزعمهم. و هم الذين نشروا

مثالبه و عيوبه و ساروا بها في البلدان في العراق و في مصر في الحجاز و في اليمن. أيضا كفروا عليا, و إن كان يرون في أول الأمر أنه أولى بالخلافة, لكنهم خرجوا على علي. و لهذا الخوارج في الحقيقة هم من شيعة علي. كانوا مع علي في الجمل و في الصفين ثم خرجوا عليه, و لهذا من العلماء من يعد الخوارج من فرق الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضي الله عنه في أول الأمر ثم تبرؤوا منه وكفروه.

الني p أخبر في الحديث الحسن أن عليا يغلو فيه طائفتان. و هذا الذي نظمه القحطاني بقوله:

و عليه تصلى النار طائفتان

إحداهما لا ترتضيه خليفة و تصيره الأخرى إلها ثان

الذين لا يرتضون عليا خليفة هم الخوارج و اسمهم النواصب لأنهم نصبوا عليا رضي الله عنه العدا بقتاله. (و تصيره إلها ثان) و هم الروافض.

الخوارج في سنة خمس و ستين دب فيهم الافتراق. كانوا قبل ذلك يخرج واحد مع الآخر ثم إما يقتله أو يتبرأ منه. بعد خمس و ستين كان بينهم رجل يقال له نافع ابن الأزرق الدؤلي الحنفي, و كان جلس إلى ابن عباس رضي الله عنهما و عرف عنه العجلة و الاعتراض و سوء الأدب. و هذا شعار للخوارج قديما و حديثا و هو الغرور بشيء يسير عندهم من العلم و الاعتراض على العلماء في كل زمان بحسبه. في عهد الصحابة العلماء هم الصحابة فكانوا يعترضون عليهم و في عهد التابعين العلماء هم التابعون فكانوا يعترضون عليهم بغرورهم و جهلهم.

في خلافة عبد الله بن الزبير و كان نافع بن الأزرق معه في سنة أربع و ستين فارق ابن الأزرق الدؤلي الحنفي عبد الله بن الزبير و فاصله هو و من كان يرى رأيه, لأن المتعلمين فيهم قليلون و أكثرهم عامة غوغائية دهماء يتبعون من يثقون به.

أحدث نافع بن الأزرق ثلاث بدع في مذهب الخوارج:

البدعة الأولى: البراءة من القعدة الذين لم يهاجروا إليهم و إلى عسكرهم لأنهم عدوا أنفسهم بمنزلة المهاجرين الذين هاجروا إلى المدينة. و جب على المسلمين أن يهاجروا إليهم فمن قعد عن الهجرة إليهم يسمى قاعد فتبرؤوا منه. و معنى "تبرؤوا منه" أي أنه ليس منهم و ليس

عليهم. و لهم في هذا قصة شهيرة أن امرأة في اليمن تزوجت رجلا على مذهبه فلم يرتض أهلها و بنو عمها هذا الزواج و أصروا على أن يطلقوها من زوجها و أن ينكحوها أحد بني عمه. فقالت هذه المرأة لزوجها: خيرك الله بين ثلاث, أن نهاجر إلى نافع و عسكريه. الأمر الثاني أن تخفيني عندك لا يصلوا إليك. الأمر الثالث أن تخلي سبيلي. فحلى سبيلها. لما كوتب نافع بهذا الأمر قال و من كان عنده: " ما يسع هذه المرأة و زوجها إلا الهجرة إلينا فهم عصاة مذنبون بعدم الهجرة إلينا فهم كفار. " فتبرؤوا منهم.

أورد عليهم إيراد: "إذا كنتم تتبرؤون من القعدة, أسلافكم المحكمة الأولى لم يتبرؤوا ممن لم يهاجر إليهم و يرحل إليهم."

قالوا: "هذا أمر بدا لنا فيه رأي غير ما بدا لأولئك. و لا غضاضة عليهم و لكن هذا الاختيار الذي بدا لنا, هذا اجتهادنا. " لئلا يقعوا في سلفهم فيكفروهم و هذا هو مذهب الخوارج أن من لم يوافقهم لا من المتقدمين و لا من المتأخرين ينسفونه في اليم نسفا و لا يرتضون قوله. و هذا شعارهم و دثارهم في كل زمان, و طبقوا هذا في هذا الزمان على الجماعات التي تنحى منحى الخوارج في تعاملها مع المسلمين و مع جماعاتهم و مع ولايتهم. من لم يوافقهم حتى في أخطائهم يتبرؤون منه أو يسيئون به الظن و يخرجونه عن شأنهم الخاصة إن لم ينقلبوا عليه و يكفروه.

و هذا الأمر يجب أن يتبته له في جهات عديدة - و لا أريد أن أسمى - في الشرق و الغرب, من لم يكن معه على كل حال فهم منه براء إما بالتبرؤ أو بالتكفير أو بإخراجه من جماعتهم. و لهذا جاء وصفهم في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري و غيره أنهم سفهاء الأحلام أي لا عقول لهم. حقهم في الشرع أن يحجر عليهم لأنهم يطالون دماء الناس و أعراضهم و أموالهم.

البدعة الثانية التي أتى بها نافع بن الأزرق: امتحان من يقدم إليه في عسكريه. كل من قصده في عسكريه و جماعته ممن هاجر إليهم يمتحنونه على دينه.

و لهذا قال أهل السنة رحمهم الله في مسائل اعتقادهم: و الامتحان بدعة. و أول من امتحن الناس هم الخوارج ثم أصبح هذا شأن من تشبه بهم من أهل الأهواء و البدع سواء من الروافض, من المعتزلة و الجهمية و المعطلة أو من ينتسب انتسابا إلى أهل السنة, يمتحن

المقابل حتى يميزه فيجري عليه الأحكام. النبي ρ لم يمتحن الناس. المنافقون و هم منافقون يعيشون معه في المدينة و يؤاكلوهم و يشاربوهم و مع هذا لم يأت حديث صحيح يمتحن فيه هؤلاء.

جاء السؤال في حديثي معوية بن حسن السلمي لما أراد أن يعتق الجارية التي صكها على وجهها صكا. و هذا السؤال ليس سؤال امتحان و إنما سؤال تقرير منه ρ ليشجع سيدها على إعتاقها فقال: " أين الله؟" قالت الله في السماء. "قال: " من أنا؟" قالت: "أنت رسول الله." قال: "اعتقها فإنها مؤمنة."¹ و ليس هذا من قبيل الامتحان البتة.

البدعة الثالثة التي أتى بها نافع بن الأزرق أن من لم يهاجر إليهم فهو كافر. قد يقول قائل ما الفرق بين الثالثة و الأولى؟ الفرق أن البراءة مثل التضليل ليس فيها تكفير ونتيجة هذه البراءة التكفير و لا بد لأن عندهم من لم يكن معهم فهو ضدهم.

لما أتى بهذا الأمر نافع بن الأزرق خالفه كثير من فرق الخوارج و كانوا منتشرين في أطراف الجزيرة و ما بلغتهم هذه الاجتهادات. فبلغ ذلك نجدة بن عامر اليمامي الحنفي و كان قد جاء من اليمامة قاصدا البصرة, فبلغه أن نافع بن الأزرق أتى بهذه الثلاث ففصل نجدة بن عامر اليمامي نافعا. فكانت فرقة النجدات و كانت لهم شوكة في اليمامة حتى إن نجدة بن عامر غزا القطيف و استباح دماءهم نساءهم و ذرايهم.

و في رجوعهم من القطيف ملكوا الذراري فوطئوا هذه الذراري و أكلوا من الأموال قبل أن تقسم فبلغ ذلك أباه فعنفه و أنكر عليه. قال وقعنا في هذا بخطأ, اجتهاد المخطئين, فأعذره أبوه و في هذا مفارقة بين مذهب الأزارقة و مذهب النجدات.

إذن الفرقة الأولى الأزارقة نسبة إلى نافع بن الأزرق الذي ما لبث أن قتل في سنة بضع و ستين إما سنة ست و ستين أو بعدها, و النجدات أتباع نجدة بن عامر اليمامي.

الفرقة الثالثة فرقة تسمى بالصفيرية أتباع زياد بن الأصفر.

الفرقة الرابعة الإباضية المنسوبون إلى عبد الله بن إباض التميمي و هؤلاء صارت لهم شوكة في جنوب شرقي الجزيرة, جهة عمان.

¹ أخرجه مسلم في كتاب الصلاة, باب تحريم الكلام في الصلاة و نسخ ما كان من إباحته (537).

الأزارقة منهم أشداء الخوارج مثل قطري بن الفحاعة فإنه تولى إمرتهم بعد نافع بن الأزرق و هو الذي كان باقعة من الباقعات في شجاعته و بسالته و له القصيدة المشهورة:

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو طلبت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لم تطاعي
فصبرا في مجال الموت صبرا ... فما نيل الخلود بمستطاعي

قطري ما ليث أن خرج عليه و كفر فانحاز بناحية من عسكره إلى جهة خرسان في طبرستان فقتل هناك. لما سئل هؤلاء الأزارقة عن البراءة من القعدة: قيل من كانوا في عهد عثمان قيل إن سلفكم لم يتبرؤوا من القعدة. قالوا: "بدا لنا من الاجتهاد ما لم يبد لهم." و أتى نافع بن الأزرق و من معه بإحلال دماء المسلمين و أموالهم ممن لم يخرج إليهم يهاجر إليهم في معسكرهم.

نافع بن الأزرق و الأزارقة أول من أنكروا حد الرجم بدعوى أنه لم يأت في كتاب الله عز و جل. و الأزارقة غرهم بعض علم ناله نافع و هذه المشكلة و من أنصاف المتعلمين قديما و حديثا قد يعلم حديثا أو حديثين لكن البلية أنه بمعرفته معلومة أو معلومتين عند أصحابه يعلم كل شيء و تصير الباقعة حينئذ. كالخوارج في هذا الزمان الذين خرجوا على جماعات المسلمين و على ولاة الأمور بالتفجير و التكفير و التقتيل. مفتوهم هم من تعلم سنة أو سنتين, برر لهم الباطل و سوغ لهم المنكر و عد فعلهم - الذي هو خروج على الجماعة و حمل السيف على المسلمين - عده جهادا و استشهادا و عمليات استشهادية و غير ذلك مما يعتقدونه في أنفسهم.

لما أتى نافع بهذه الأشياء بدعه نجدة بن عامر اليمامي الحنفي فانحاز بفرقة تسمى بالنجدات.

زياد بن الأصفر خالف الأزارقة في مسألة يسيرة و هي مسألة أطفال المشركين. فإن أطفال المشركين عند عامة الخوارج و لا سيما الأزارقة هم في النار تبعا لآبائهم و أطفال المؤمنين في الجنة تبعا لآبائهم, لأن أولئك الخوارج لم يكتفوا بأحكام الدنيا و إنما استطالوا على أحكام الآخرة. زياد بن الأصفر خالف نافعا في هذا, فقال إن أطفال المشركين ليسوا في النار و إنما هم يوم القيامة يمتحنون أو أنهم ولدان لأهل الجنة فخالفه في ذلك فمايزه.

هذه ثلاث فرق شهيرة: الأزارقة و النجدات و الصفرية.

الصفرية هي أكثر فرق الخوارج التي تشعبت بعد ذلك لأن الأزارقة انتهت بعد نافع بمدة يسيرة و كذلك النجدات, و ذابت هاتان الفرقتان في فرقة الصفرية التي تفرقت بعد ذلك إلى فرق كثيرة ذكرها العلماء. و عامة الخوارج في عهد بني أمية و التابعين و من بعدهم هم من الصفرية. و هؤلاء هم الذين كان منهم بعض رواة الحديث كعمران بن حطان حتى بعض علماء اللغة كمعمر بن مثنى المشهور صاحب مجاز القرآن فإنه كان صفريا. هؤلاء استمروا و لهذا كان العلماء يقبلون روايتهم في الحديث لأنهم لا يكذبون حيث يعدون الكذب ذنبا يكفر صاحبه به مع أن منهم من هو داع إلى بدعته كعمران بن حطان لأنهم يكفرون بالكذب. بينما العلماء لم يقبلوا الروافض لأن الكذب عندهم شعار و دثار و هو دين.

الإباضية - أتباع عبد الله بن إباح - خالف الخوارج الذين هم الأزارقة و النجدات و الصفرية, في مسألة من أتى ذنبا هل كفره كفر ملة أو كفره كفر نعمة؟

عموم الخوارج أن من أتى الذنب يكفر به كما ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم أول من كفر الناس بالذنوب بل بما يرونه هم من الذنوب. و لهذا استحلوا دماءهم و استباحوا أعراضهم و قاتلوهم و كفروهم و أجروا عليهم أحكام الكفر حتى أن من لم يهاجر إليهم يطلقون منه امرأته لأن الملة اختلفت بينهم, هي مؤمنة و هو كافر أو العكس.

الإباضية قالوا: إن من أتى ذنبا فهو كافر كفر نعمة ليس كفر ملة. يتأولون قول الله جل و علا في سورة إبراهيم (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا و أحلوا قومهم دار البوار) كفر النعمة عند الإباضية أن صاحبه لا يخرج من الملة في الدنيا بهذا الفعل أي ليس كافرا يستباح به ماله و دمه و عرضه, يمهل إلى أن يموت فإذا مات أصبح كافرا كفر ملة و هو في الآخرة في النار. فاتفقوا في حكم الآخرة أن صاحب الذنب كافر مخلد في النار و اختلفوا في حكمه في الدنيا.

جمهور الخوارج قالوا هو كافر كفر ملة إذن يستباح دمه يقام عليه الحد ماله هدر و غنيمة إلى آخره. هؤلاء قالوا: لا كفره كفر نعمة لا يكفر كفر ملة حتى يموت. و ثمرة هذا الخلاف هو في مقاتلة من خالفهم و استباحة دماءهم و أعراضهم و أمواله. و لهذا مذهب عامة الخوارج

لم يحمل أسباب البقاء لأن كل من خالفهم يكون كافرا يستباح دمه لا بد من جهاده و هذا يجعل المذهب يضمحل.

الإباضية لا، من خالفهم لا يكفر في نفسه كفر ملة حتى يموت و بالتالي فإذا وقع في الذنب لا يستباح دمه و لا ماله و لا عرضه. و من هذا الباب نسمع و نسمعون أن الإباضية ينفون أن يكونوا خوارجا، و ألفوا في هذا رسائل منها رسالة يحيى بن يعمر الليبي الذي قال: " إن الإباضية ليسوا من الخوارج." و هذا ما يرددونه في كل زمان الآن يرددون أن الإباضية ليسوا من الخوارج. تبرؤ الإباضية إنما هو من الأزارقة و النجدات و الصفرية و لهذا لا يتبرؤون من المحكمة الأولى ممن خرجوا على علي أو خرجوا على عثمان بل يعتقدون أن هؤلاء سلفهم و أئمتهم. فهم يتبرؤون من عامة الخوارج من الأزارقة و النجدات و الصفرية.

الأمر الثاني الذي خالف فيه الإباضية عامة الخوارج و جماهيرهم أنهم لا يرون وجوب الخروج على السلاطين بالسيف إذا خالفوهم حتى تكون لهم قوة و منعة. و هم بهذا يشابهون المعتزلة لأن الإباضية في آخر القرن الثاني أضحو معتزلة، بل في أول القرن الثالث دخلت المعتزلة في الإباضية بل في الخوارج جميعا. كما ذكر ذلك أبو الحسن الأشعري أن الخوارج أضحو كلهم معتزلة في باب الأسماء و الصفات خصوصا و في غيره.

معلوم أن من أصول المعتزلة الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و معناه الخروج على ولاة الجور إذا ظلموا إذا قدر على الخروج عليه. أولئك سواء بقدره أو بغير قدرة لا بد من المفاصلة و الممايزة. و المفاصلة و الممايزة شعار الخوارج حديثا كما سيأتي.

أحب أن أنبه أن الخوارج في آخر القرن الثاني و أول الثالث أضحو معتزلة فقالوا بقول المعتزلة في إنكار الصفات و لهذا أنكروا أن يكون القرآن كلام الله بل قالوا إنه مخلوق. و عد ذلك أبو الحسن الأشعري مما أجمعت عليه الخوارج أن القرآن مخلوق لأنهم ينكرون صفات الله و من صفاته أنه متكلم سبحانه و تعالى.

أيضا أنكروا أن الله يرى بالأبصار في الآخرة و هو ما يصرحون به الآن. حتى الإباضية تصرح أن الله لا يرى في الآخرة بالأبصار. قالوا بالقدر كما قالته المعتزلة: بأن للعبد قدرة غير قدرة الله جل و علا و لا علاقة بين قدرة الله عليها.

الإباضية خالفت المعتزلة في مسمى الإرادة و هو خلاف عند التحقيق لا طائل تحته في ما يتعلق بإرادة الله جل و علا.

قالوا بأن صاحب الذنب كافر و اختلفوا: كفر النعمة أو كفر ملة فجمهورهم على أنه كفر ملة و الإباضية على أنه كفر نعمة. و لهذا الخوارج ليس عندهم تفریق بين الكبائر و الصغائر و إنما هذا التفریق وجد عند متأخري الإباضية بعد تلاقحهم مع المذاهب الأخرى. مع طول المقام و طول البحث و طول السنين أوجدوا عندهم فرقا بين الكبيرة و الصغيرة و تباينوا في هذه الفروق. منهم من قال إن الكبيرة ما فيه حد فقط و إلا متقدمو الخوارج في المائة الأولى لا فرق عندهم بين الكبيرة و الصغيرة, و إنما كلها ذنب, معصية الله واحدة: ذنب و صاحبها كافر.

لاحظوا أن هؤلاء ورثوا المعتزلة لأن المذهب لا بد له من أساس عقدي يبنى عليه, و هم جهال لا علم و لا عقل فتأثروا بالمعتزلة الذين كانت لهم نظرة سيئة إلى الصحابة و إلى التابعين. و معلوم أن المعتزلة خرجوا على سيد التابعين في زمنه في البصرة الحسن بن يسار البصري.

الأساس الذي يكاد يكون مشتركا بين فرق الخوارج المتقدمين و تأثر بهم المتأخرون هو براءتهم من كل من يخالفهم. فإما يتبرؤون منه أو يضللونه أو يكفرونه و إن قدروا قتلوه و استباحوا دمه و ماله و عرضه. هنا أمر لا بد من الانتباه له: الآن الأزارقة أو النجدات أو الصفرية, هل له اسم بهذا الاسم في هذه الأزمان المتأخرة؟ الجواب أننا لا نعلم اسما ينتسب إلى هؤلاء. و هذا أساس في معرفة الفرق قد تبعد الفرقة في مسماها لكنها لا تبعد في عقيدتها و أصولها, فلكل قوم وارث فيرثهم آخرون يقولون بقولهم و إن تباينت أسماؤهم و لهذا لا يمكن أن تجد فرقة قد بادت ليس لها وجود, إنما يبعد اسمها و لا يبعد معناها و حقيقتها و منهجها و إن كان في بعض الأمور.

و سبق أن ثمة تداخل و تلاقح بين المذاهب بعضها مع بعض. فالمعتزلة قلة الآن من ينتسب إلى هذا الاسم و يسمى نفسه معتزلي. إنما نجد من بعض الكتاب العقلايين من يجعل المعتزلة الأوائل. لكن الاعتزال وجد عند الروافض, عند الزيدية, عند الإباضية و الخوارج, عند من ينتسب إلى المذهب العقلائي. هؤلاء معتزلة و إن لم يتسموا باسم المعتزلة. قل مثل ذلك

في الجهمية و قل مثل ذلك في الباطنية, ربما لا تجد من يسمي نفسه باطني لكن هناك من يسمي نفسه من البهرة أو السليماني و إسماعيلي أو درزي أو نصيري علوي و هم في الحقيقة يقولون باعتقاد الظاهر و الباطن, أن للدين ظاهرا و باطنا.

القواسم المشتركة بين الخوارج الأول و خوارج هذا العصر

أريد أن أشير في الإماعة سريعة إلى شيء من معالم هذه الفرقة - الخوارج - و المقصود من ذلك هو ربطها بالخوارج المعاصرين و إن كان ليس ثمة نسب علمي و لا تأريخي بين هؤلاء و أولئك, إلا بعلم من أعلام النبوة التي أخبر بها النبي ρ : "أنه يخرج قوم في آخر الزمان حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية" قولهم خير الأقوال "بألستهم لا يجاوز إيمانهم حناجرهم" و هؤلاء إذا طبقناهم على الخوارج المعاصرين نجد أنهم على صنفين:

عامتهم أرادوا الحق لكنهم أخطؤوا سبيله و ظنوا أنهم محسنون و هم في الحقيقة منحرفون من جهلهم و غرورهم و اعتقاد أن ما معهم حق و أن مخالفهم على الباطل.

طائفة يسيرة منهم لهم أجنداث سياسية و مصالح يحققونها إما لأنفسهم أو لغيرهم شعروا أو لم يشعروا. و لهذا لا يستبعد أن يتهم كبارهم بالنفاق أو بالعمالة, سواء العمالة المباشرة أو العمالة المزدوجة الذي يكون عميلا يحقق أهداف غيره و هو لا يشعر.

المعالم المشتركة بين الخوارج قديما و حديثا منها ما سبق أنهم يكفرون من خالفهم و يوجبون الهجرة إليهم. تذكرون في بعض الجماعات التي وجدت أنهم مايزوا المسلمين لا يصلون معهم في المساجد, خرجوا إلى الواحات أو إلى الصحاري و إلى الجبال و أقاموا مجتمعات مصغرة لهم. لماذا؟ لأنهم كفروا غيرهم و من لوازم التكفير أن يتميزوا عنهم يتفاضلوا عنهم. حتى وجد ما يسمى بالتوقف و التنبئة: يتوقفون مع من خالفهم حتى يتنبؤون عن شأنه ما هو. و وجد ما يسمى بالامتحان و كلها إفرافات مشتركة بين القديم و الحديث.

من المعالم المشتركة: أنهم جهال, فارقوا السنة بجهل و فارقوا الجماعة عن جهل. يكثر فيهم القراءة, حفاظ القرآن, القارئون له يكثر فيهم العباد المتزهدون لكنهم بلا علم و لا فقه, فهم جهال قراء عباد بلا علم. و يكثر أن ينطوي فيهم الأعراب و الفلاحون و أصحاب المهن اليدوية البعيدة عن العلم. و هذا معنى قول النبي ρ إنهم "حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام"

و معنى قوله "يقرؤون القرآن أكثر مما تقرأون, يأخذون من الليل أحسن مما تأخذون, يصومون لا يجاوز إيمانهم حناجرهم" لا تجاوز قراءتهم للقرآن حناجرهم و لا تراقبهم.

المعلم الرابع: هو غرورهم و تعاليهم على العلماء. الخوارج في القديم و الحديث يتعالون على العلماء. فيهم غرور واضح على أهل العلم أصلهم, عبد الله بن ذو الخويصرة التميمي الأعرابي, تعالى على من؟ على مقام النبي ρ حيث قال: "يا رسول الله اعدل فإنك لم تعدل!" يعترض على الرسول في قسمته الغنائم. فقال له ρ : "ويلك فمن يعدل إن لم أعدل! خبت خسرت إن لم أعدل! ألا تأمنوني و أنا أمين من في السماء." فغضب ρ حتى هم الصحابة بقتله لأنه تناول و تجاوز الأدب و اعترض على حكم رسول الله ρ , و المؤمن إن لم يسلم لحكم رسول الله فإنه ليس بمؤمن: (فلا و ربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت و يسلم تسليما)

فقال ρ لأصحابه: "دعوه فإنه سيخرج من ضئضى هذا" أي من أصل مقالته و منهاجه و طريقته "قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم و صيامكم إلى صيامهم يقرؤون القرآن يأخذون من الليل أكثر مما تأخذون لا يجاوز حناجرهم أو تراقبهم."¹

كذلك أولئك استطالوا على خليفة رسول الله ρ , من هو؟ عثمان بن عفان, حتى قتلوه من غرورهم و جهلهم و تعالمهم, فالتعلم صفة مشتركة. أولئك الخوارج ما موقفهم من عبد الله بن عباس بل من علي رضي الله عنهم؟ موقف الغرور و التعالي و التعاضم. قتلوا علي فقتله قاتلهم عبد الرحمن بن ملجم و قتلوا الزبير رضي الله عنهما. كذلك في عهد عمر بن عبد العزيز و قبله و بعده يتعالون على العلماء و يكفروهم.

في هذا الزمان ما شأن الخوارج مع العلماء؟ شأنان يعرف ذلك الراصد المتابع لهم: الشأن الأول: أنهم يستجهلون العلماء بأنواع الجهلات: أولا ما يعرفون الواقع, العلماء علماء حيض و نفاس و طهارة, الواقع لا يعرفونه. ما هو الواقع الأبعاد السياسية التي تحاك. يتهمون العلماء بأنهم علماء سلطان, ما همهم إلا الكراسي و الدراهم و المناصب و ربما صرحوا بأنهم عملاء. كل هذا ناشئ من استجهال العلماء. و منهم من يكفر العلماء و قد سمعنا في زماننا هذا من يكفر الشيخ ابن باز من أغرارهم و مغرورهم, من جهالهم الذين جهلهم

¹ تقدم تحريجه.

جهل مركب لا جهل بسيط. يكفر الشيخ محمد بن صالح العثيمين يكفر من قبلهم من العلماء, يأخذ بأقوال من سبق و يضرب بها أقوال المعاصرين, يقول تغيروا و كفروا رضوا بالكفر.

و الكفر الذي يزعمونه كفرا عند التحقيق هو شبهات لا تبقى مع حصينة العلم شيئا. أبدا! عند الجدل و عند التحقيق لا تبقى هذه الشبه و إنما تكون كالسراب عند التحليل و عند مراجعة الأدلة و أقوال العلماء.

إنما هو تصور هذا الكفر فألزم به من أمامه إلزاما, إما أن يوافقه و إلا يكفر هو. و لهذا وجد من هؤلاء من يتوب من مقالته و يذكر عن شأنه أنهم كانوا في الليلة الواحدة يكفرون مرتين ثلاث مرات أربع مرات. لماذا ؟ لأن الشأن شأن جهالة و تعالم و استجهال. زعموا أنهم أعلم من ابن عباس و أعلم من علي رضي الله عنهم بالقرآن حتى أنزلوا آيات في الكفار جعلوها في المؤمنين (ما ضربوه لك إلا جدلا بلهم قوم خصمون)

آية في كفار قريش جعلوها في ابن عباس. (كالذي استهوت الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى إتنا) جعلوها فيهم هم أصحابه و الحيران هو علي.

جعلوا قول الله (و من الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه و هو ألد الخصام) قالوا هذا علي. و جعلوا قول الله (و من الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله و الله رؤوف بالعباد) قالوا هو عبد الرحمن بن ملجم اشترى نفسه أي اشتراها من الله. و مر من ألقابهم الشراة على وزن بغاة و رماة الذين زعموا أنهم شروا أنفسهم من الله جل و علا.

المعلم السادس المشترك هو الزهد و الغلو في العبادة و التنطع الشديد. تنطع بالكلام تنطع, بالفعل, تنطع بالعبادات و تشدد مع الناس, هذه سمة للخوارج قديما و حديثا. و النبي ﷺ يقول كما خرج مسلم في صحيحه: " هلك المنتطعون هلك المنتطعون قالها ﷺ ثلاثا".¹

و هذا معنى قوله: " تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ". إن الصحابة على جلالتهم و فضلهم و علمهم و دينهم إذا نظر إلى صلاة الخارجي حقر نفسه. كيف أنه يزينها و يخشع فيها لكنها أعمال ظاهرة و البواطن علمها إلى الله جل و علا.

¹ أخرجه مسلم في كتاب العلم باب هلك المنتطعون (2670)

من أصولهم المشتركة: البدع, و يستسهلون البدعة لمصلحتهم كالمذهب المشهور البر... الغاية تبرر الوسيلة. يتدعون بدعة يعتقدونها ديناً لأنها من مصالح الدين.

مثالها ما جاء في حديث ابن مسعود لما كان بالكوفة , فإنه حصل بالكوفة أمر لحظه بعض التابعين, فذهب إلى أمير الكوفة و هو أبو موسى الأشعري فأخبره أنه رأى في جامع الكوفة حلقة و على كل حلقة قيم يقول: " سبحوا مائة كبروا مائة هللوا مائة.. ". و هذا في عهد الصحابة رضي الله عنه في عهد علي ابن أبي طالب لأن عبد الله بن مسعود توفي سنة أربع و ثلاثين رضي الله عنه. فذهب أبو موسى إلى عبد الله بن مسعود... و لعل هذا أذكره في آخر الأمر لأن فيها أمر مشترك بين هذه الفرقة بين غيرها.

إذن القاسم المشترك غلوهم في العبادات و التنطع و التشدد الذي أصبح سمة لهم, و لهذا صار من سماتهم التحليق يخلقون رؤوسهم. قال النبي ρ في حديث أبي سعيد المخرج في الصحيح: " سيماهم التحليق"¹ أي علامتهم التحليق. و ليس معنى ذلك أن كل من يخلق رأسه يكون خارجياً فإن من تابع بين العمرة و العمرة لا بد أن يخلق رأسه أو يقصره.

من المعالم المشتركة بين الخوارج قديماً و حديثاً أنهم استدلوا بنصوص الوعيد و أهملوا أدلة الوعد. فعندهم من أتى معصية كفر أخذوا بقول النبي ρ : " لا يزني الزاني حينما يزني و هو مؤمن و لا يشرب الخمر حين يشربها و هو مؤمن."² و هذا من ثمار قاعدة الجهل أنه يأخذ ببعض النصوص و يترك بعضها.

و هكذا أضدادهم من الفرق أخذوا بنصوص الوعد و تركوا نصوص الوعيد و هم طوائف الإرجاء. و لهذا الإرجاء بدعة وجدت مقابل بدعة الخوارج, لأن الخوارج يسمون في باب الأسماء و الأحكام بالوعيدية لأنهم أخذوا بنصوص و أدلة و الوعيد فغلبوها على أدلة الوعد. و أولئك أخذوا أدلة الوعد و أهملوا أدلة الوعيد فسعد أهل السنة و الجماعة بأن أخذوا بنصوص الوعد و الوعيد جميعاً.

¹ تقدم تخرجه.

² أخرجه البخاري في كتاب المظالم باب النهي بغير إذن صاحبهرقم (2475) و مسلم كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية على إرادة نفي كماله (57)

و لهذا ربما يمر عليكم في تراجم الأئمة و العلماء أنهم كانوا ينهاون أن يحدث الإنسان بأدلة الوعيد لئلا يبرر للخوارج أو للداهم أو للجهاال و الطغام بدعهم, و العكس بالعكس. من أصولهم المشتركة قديما و حديثا أن الخوارج القدماء و المعاصرين أتوا إلى آيات و نصوص نزلت في المشركين فجعلوها في المؤمنين. قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كما رواه البخاري في صحيحه: " إن الخوارج أتوا إلى آيات نزلت في الكفار فأعملوها في المسلمين." و لهذا سلم من الخوارج الأعداء و لم يسلم منهم إخوانهم, سلم منهم اليهود و النصارى و المجوس و لم يسلم منهم إخوانهم المسلمون.

عبد الله بن وهب الراسبي هو الذي قتل عبد الله بن خباب لما قال: حدثنا بحديث سمعته عن أبيك عن النبي ρ . فقرأ عليه عبد الله بن خباب بن الأرت حديث النبي ρ الذي فيه الأمر بالعود عند الفتنة أخرجهم مسلم و غيره: "ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم.

و قال: "كن خير ابني آدم المقتول و لا تكن القاتل, و إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل و المقتول في النار." ¹ فتأول ذلك الخبيث أن عبد الله بن خباب يرد عليهم بهذه الأحاديث فكفره فقتله و بقر بطن مولاته و قتل ما فيه من ابنه و رضيعه.

من أصولهم أنهم أنكروا ما تفردت به السنة, فقالوا إن حد الرجم تفردت به السنة فهذا لا يأتون به و لهذا تأثر بهم في الأخير القرآنيون: من يزعمون أنهم يعملون بالقرآن أو يأخذون بالقرآن. و هي فرقة و بدعة أنشأها الاستعمار في بلاد الهند. و الآن لها وجود صريح قوي في بلاد أوروبا و أمريكا. القرآنيون الذين يزعمون أنهم يأخذون بالقرآن و يدعون ما سواه, هؤلاء لهم شبه و لهم سلف طالح في الخوارج.

لا يرون للسرقة نصابا و هذا مذهب جمهور الخوارج أن السرقة ليس لها نصاب تقطع يده! تأولا بجهل و عدم علم لحديث: "لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده." ² و الإباضية وافقوا أهل السنة في أن السرقة لها حد في أربعة أو خمسة دراهم.

¹ أخرجه أحمد (5/ 110 برقم 21064) .

² أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب لعن السارق إذا لم يسم (6783) و مسلم في كتاب الحدود باب حد السرقة و نصابها (1687).

من إنكار أولئك للسنة قابله بتصرفات تحصل من الخوارج المعاصرين, فإنهم يبيحون حلق اللحي للمصلحة و ترك الجماعة و الجمعة و يبيحون أن يتشبه الرجل بالنساء و لذلك وجد منهم من يلبس لباس النساء حتى يبرر لنفسه فعله. وجد منهم من يسرق أموال الناس بدعوى أنها غنائم. ...¹ الذين في أوربا ممن ينتحل مذهب الخوارج و إن لم ينتسب إليهم أنه يعاشر الزواني و الزانيات و البغايا, يقول هؤلاء سبايا. من غير جهاد يبرر لنفسه المعصية بالجهل و الاستجهاال. و لهذا القاسم المشترك أنه في مراحل الضعف يبررون لأنفسهم المعاصي. قالوا نحن الآن في عهد الضعف كالعهد المكي و العهد المكي مرحلة استضعاف لم تقم فيه الجمعة و لا الجماعة و لا الشعائر الظاهر و هذا من الجهل الذريع و التعالم الذي يقع فيه هؤلاء.

من القواسم المشتركة أنهم يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان, كما قلت لكم في قتلهم لعبد الله بن خباب و هي من مثالبهم العظيمة التي أحنقت عليهم الصحابة. و في المقابل لما أن أحدهم حلب شاة أو بقرة ذمي عنفوا عليه و ضربوه و أمروه أن يرجع إليه فيستبيح منه, و لو أن يعطيه مقابل الحليب الذي حلبه من منيخته أي من بقرته أو من غنمه. إذن استباحوا دماء المسلمين و سلم منهم الكفار أهل الأوثان.

من الأصول أن الخوارج باقون إلى قيام الساعة و في هذا الدليل الذي جاء في الصحيح عن النبي ρ أنه قال: " لا يزالون يخرجون" أي الخوارج "إلى أن يكون آخرهم مع الدجال"² يخرج آخرهم مع الدجال لأنه سمة أتباع الدجال الجهل المطبق. فهم إما عباد قبور أو يهود في قلوبهم الحسد و الحقد أو نصارى أو عباد أوثان أو من أطراف المسلمين من النساء أو الأعراب أصحاب البوادي الذين شأنهم قلة العلم و قلة العقل. يقول ρ في الخوارج: " لا يزالون يخرجون حتى يكون آخرهم مع الدجال".

و هنا أمر لا بد أن ينتبه له, و هو أن الاسم قد يتبدل فيسمون أنفسهم باسم غير اسم الخوارج ليناسبوا زمانهم. فتغيير الاسم لا يغير من الحقيقة شيء و هذه قاعدة حتى في أمور الشريعة. الخمر إذا سميت بغير اسمها هل تبرر, الربا إذا سمي بغير اسمه هل يبرر و يسوغ. و

¹ كلمة غير مسموعة

² أخرجه ابن ماجه في المقدمة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما باب في ذكر الخوارج (174).

هذا ما أخبر به النبي ﷺ و هو من أعلام نبوته قال: " لا تقوم الساعة حتى يشرب الخمر و تسمى بغر اسمها."¹ أليست تسمى الآن مشروبة روحية مشروبة الونس و ما إلى ذلك يسمى عرقا. الاسم لا يغير من الحقيقة شيء. الربا سمي بغير اسمه: سمي الربا فوائد و استثمارات و اقتصاد. سمي التدين في هذا الزمان إرهاب و تشدد و تنطع و ربما سموه خروج و سموا المتدينين خوارج. إذن المسميات تتغير بتكيفات أهلها و إطلاقاتهم أما الحقيقة فهي التي عليها المدار و عليها المناط.

و هكذا في الخوارج قد يتغيرون في أسمائهم يسمون أنفسهم جهاديين يسمون أنفسهم بدعاة مصلحين آمرين بالمعروف و ناهين عن المنكر، كما مر في أصول المعتزلة أن من أصولهم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و معناه، مؤداه الخروج على ولاة الجور إذا قدوا على ذلك.

فالخوارج قد لا يعرفون بهذا الاسم في أزمان و في مراحل أو في أماكن متفرقة و إنما العبرة بالحقيقة. فمن كان أصله تكفير المسلمين أو الخروج عليهم بالسيف أو نزع ولاية الإمام من أعناقهم بغير مبرر شرعي فهذه صفتهم و إن تسموا بغير اسم الخوارج. و هذا أمر لا بد أن ينتبه له طلبة العلم: أن الفرق مع تقدم الزمان و تداخلها مع غيرها و ظروف المكان و الزمان تتغير في أسمائها و مسمياتها، فإن تسمت بالاسم الصحيح لا يعني هذا أنها تنسب إليه إذ العبرة بالحقيقة لا بالاسم. و من نظر إلى الاسم المجرد دون الحقيقة أضحي مغفلا لا ينظر إلى حقائق الأمور و مقاصدها.

المعلم الثاني عشر بين الخوارج في القديم و في الحديث معالم نفسية، تشترك بين هؤلاء. منها التسرع في الأحكام و المجازفة فيها، منها الرعونة و الشدة، منها الغلظة و الجفاء، منها التعالي على الخصم، سواء كان عالما أو كان عاميا. منها التنقل و الافتراق و المقاتلة حتى أنه من شعارهم أن كلا منهم يتبرأ ممن خالفه، فإن قدر على الخروج عليه أو يقاتله بالسيف يخرج

¹ أخرجه أبو داود من حديث أبي مالك الأشعري في كتاب الأشربة باب الداذي (3688) و النسائي في كتاب الأشربة باب منزلة الخمر (5658) و ابن ماجه من حديث أبي أمامة الباهلي في كتاب الأشربة باب الخمر يسمونها بغير اسمها (3384)

كما حصل من أتباع نافع بن الأزرق مع نافع و من أتباع نجدة بن عامر معه. إذن هذه المعالم النفسية تجتمع في هؤلاء الخوارج.

كثرة التنقل و كثرة الافتراق و كثرة الانقسام حتى أنهم في الزمن الواحد ينقسمون عدة مرات. عمران بن حطان انقسموا عليه و خرجوا عليه فتاب ثم رجع ثم خرجوا عليه فكفرهم و قال إنكم خرجتم من دينكم كما خرجت من عباءتي هذه, ثم نزعها. إذن سمتهم الافتراق السريع و التنقل السريع حتى يفضي ذلك إلى تكفير بعضهم بعضا إذا تعاندوا و تقاتلوا. و انظروا إلى شأن الجماعات التي تأثرت, هؤلاء شأنهم كثرة الافتراق في الزمن الواحد.

أيضا التسرع في الأحكام و أبلغ ما سمعتم أنهم تسرعوا في إنزال آيات في المشركين جعلوها في أصحاب النبي ρ . جعلوا عليا رضي الله عنه هو الذي (و من الناس من يعجبك قوله) جعلوه (هو الذي استهوته الشياطين في الأرض حيران) جعلوا عليا هو الحيران (له أصحاب يدعونه إلى الحق اتنا) فجعلوا هؤلاء الأصحاب الذين يدعونه هم الخوارج هم أهل النهروان و أهل حروراء.

الرعونة مع المخالف لما جاءهم ابن عباس قالوا: لا تسمعوا له فإنه من قوم قال الله فيهم (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون). هذه رعونة مع من حقه...¹ و الاحترام من أصحاب النبي الذي زكاه الرسول بأن ضرب على صدره و قال: "اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل"² حتى لقب ابن عباس في أوساط الصحابة بترجمان القرآن و كان عمر و من عمر يجعله مع أهل بدر في أمور المسلمين العظيمة.

فيهم الغلظة و الجفاء. الغلظة بعضهم مع بعض و الجفاء بعضهم مع بعض فمن باب أولى أن يكونوا كذلك مع مخالفهم و مع من لا ينتقل إليهم و من لا يؤيدهم.

¹ كلمة غير مسموعة

² أخرج الجزء الأول منه البخاري في كتاب الوضوء باب وضع الماء عند الخلاء (143) و مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل عبد الله بن عباس (2477). و أخرجه بتمامه الإمام أحمد (

و مر كيف الخوارج افترقوا في قصة امرأة من اليمن لما أن زوجها لم يرتضه أهلها. فقالت خيرك الله بين ثلاثة: إما أن نهاجر إلى عسكر نافع بن الأزرق أو أن تخفيني عندك أو أن تسرحني. ثم اختلف أولئك بجهالة و تسرع قالوا: " ما كان يسعهم إلا أن يهاجروا إلينا. "

فيهم من صفاتهم النفسية التي انعكست على أخلاقهم و على أفعالهم التعالي و الغرور على أهل العلم. على الناس عموما و لا سيما على أهل العلم و على الولايات. و لهذا وجد في زماننا هذا كما في الزمن الأول من يكفر أهل المروءة و أهل العلم.

في الزمن الأول كفروا عثمان و كفروا عليا و كفروا أهل الجمل و أهل الصفين و في هذا الزمن كفروا علماء الدنيا الشيخ ابن باز و الشيخ محمد بن صالح العثيمين و غيرهم. فهذا ناشئ عن التعالي.

الذي حصل في الكوفة - و أرجأته إلى هذا المقام - لأنه قدر مشترك بين أهل البدع عموما أنه حصل في جامع الكوفة أن اجتمع حلق في المسجد و على كل حلقة قيم يقول: " سبحوا مائة كبروا مائة هللوا مائة" و معهم حصى يعدون بها تسيبحاتهم و تهليلاتهم و تكبيراتهم. رأى ذلك أحد التابعين فانطلق إلى أهل الحل و العقد إلى أمير الكوفة إلى أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس الأشعري اليماني رضي الله عنه. فأخبره الخبر فقال: انطلق بنا إلى أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي رضي الله عنه لأنه من علماء الصحابة و سابقاتهم.

و هكذا أهل العقل و أهل البصيرة و أهل السنة يردون الأمر إلى كبارهم و إلى علمائهم لا ...¹ عليهم و يتناولون عليهم في اجتهاداتهم و في اختياراتهم و إنما يردون أمورهم و لا سيما نوازهم و خطوبهم إلى أهل العلم.

لما انطلق أبو موسى و من معه إلى أبي عبد الرحمن قال أبو عبد الرحمن رضي الله عنه لما خرج عليهما: " انطلقوا بنا إليهم " فدخلوا المسجد في الضحى و إذا الناس في المسجد حلق على ما وصف لهما رضي الله عنهما. و في هذا تثبت العالم أنه لا يتعجل في حكمه و لا يجازف فيه حتى يتحقق منه أو يغلب على ظنه فلما رأى ذلك في المسجد اشربت أعناق المستمعين في المسجد إلى أبي عبد الرحمن و هو ينظر إليهم. فقال: " يا هؤلاء ما أردتم. " قالوا: " والله يا

¹ كلمة غير مسموعة

أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا خيرا." هذه النية و هذا المقصود لكن النية و المقصود لا يبرره سوء العمل, الغاية لا تبرر الوسيلة في ديننا.

نعم, ما أرادوا إلا الخير بدليل أنهم ما اجتمعوا في الأسواق و لا في المراقص و لا في أماكن اللهو و اللعب و إنما اجتمعوا في بيت الله على ذكر في طريقته و في شأنه طريقة مبتدعة جديدة لم يكن عليها سالف الأمر و إنما هو أمر أحدث.

قالوا: "والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير." فقال رضي الله تعالى عنه: و كم من مريد الخير لم يدركه. و في رواية رواها ابن عبد البر في جامع بيان العلم و فضله فقال: " و كم من مريد للخير لم يصبه."

إرادتك للخير لا تعني أنك أصبته أو أدركته لأن الغاية لا تبرر الوسيلة, و لأن إرادتك للشيء لا بد أن تسلك سبيله المشروع له.

ثم قال: "أيها الناس من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات" يعني بهم النبي ﷺ و أصحابه رضي الله عنهم " فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة". لأن هؤلاء إنما اقتدوا و اتتموا بكبارهم, من اعتقدوا فيهم الفضل ممن هم على كل حلقة قيم, سبحوا كذا هللوا كذا. "من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة, أولئك أصحاب محمد ﷺ هؤلاء الذين أمر ابن مسعود بالاستئذان بهم و الاهتداء بهمهم "أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوبا و أعمقها علما و أقلها تكلفا. قوم اختارهم الله لصحبته نبيه و إقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم و اتبعوهم في آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم." أنكر عليهم ابن مسعود و فرقهم على هذا الفعل و هو أنهم عدوا حسناتهم على الله و قال لهم فيما قال: "إني ضمير على الله أن لا يفوت لكم من حسناتكم عنده شيء فهلا عددتهم سيئاتكم كما تعدون حسناتكم."

الشاهد أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال: "فرأينا عامة هؤلاء (المجتمعين في حلق المسجد) فرأينا عامة هؤلاء يقاتلوننا يوم النهروان." بدؤوا ببدعة يسيرة شبر ثم اتسعت إلى ذراع ثم باع إلى أن اتسعت فاستحلوا قتال الصحابة, قتال علي رضي الله عنه و من معه من أصحاب النبي ﷺ في يوم النهروان. "فرأينا عامة هؤلاء يقاتلوننا يوم النهروان."

و في هذا أصل في علم الفرق: أن البدعة تبدأ يسيرا فإن لم تقدم في مهدها بالعلم و الحجة و البيان و الكشف و إلا اتسعت ثم هذه البدع إذا بدأت يسيرا فما زالت في اتساعها شيئا فشيئا قابلتها بدع أخرى. فالخوارج الوعيدية من قابلهم؟ المرجئة المدعون أنهم أخذوا بنصوص الوعد.

النواصب الخوارج, قابلهم الروافض الغلاة في علي رضي الله عنه و آل البيت. المعطلة الذين عطلوا أسماء الله و صفاته أو بعضها قابلهم الممثلة المشبهة. البدعة إذا لم تقدم بالعلم و السنة قوبلت ببدعة أخرى فزاد الافتراق و زادت الشقة في افتراق هؤلاء.

بدأت يسيرة ثم أنتجت بدعا أخرى كثيرة. و لهذا خط أهل السنة من عهد النبي ρ إلى الآن خط واحد في التعاطي و التعامل مع هذه البدع, في معالجتها و كشفها بالعلم الموروث عن الله و عن رسوله ρ لا بالهواء و لا بالنفس و لا بالشيطان. و هذا معنى العبودية و كمال العبودية لله جل و علا أن الانسان يحتكم في تعبه و دينه إلى الله لأنه لهذا خلق أن يكون عبدا لله, رقيقا لله كما قال بن القيم رحمه الله:

هربوا من الرق الذي خلقوا له.... فبلوا برق النفس و الشيطان

من لم يكن لله عبد كان لغيره عبدا, إما لنفسه إما لهواه إما لشيطانه إما لضريحه إما لسيدته الذي اعتقده, و هو إنما خلق لعبوديته لله جل و علا. و من مقتضيات العبودية لله أن تحتكم إلى شرعه إلى وحيه القرآن إلى وحيه الثاني سنة النبي ρ و ألا تستطيل بذلك في هواك أو هوى من تعظمه في نفسك ثم في حقيقة الأمر هو مخالف لما جاء عن الله و عن رسوله ρ .

الدرس الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اللهم صل و سل على نبيك و رسولك محمد و على آله و أصحابه أجمعين.

تنبيهات عامة

أما بعد فإتماما لموضوع الخوارج هذه الفرقة الكبيرة التي هي أول الفرق افتراقا في تأريخ المسلمين أريد أن أختتم بها بتنبيهات عامة.

التنبية الأول: أن فرق الخوارج كثيرة بل افرقت فرقا في زمن واحد متقارب, باعثه و سببه أنهم تبرؤوا ممن خالفهم و ربما أفضى هذا التبرؤ إلى مقاتلة و مباينة و مفاصلة من خالفهم. كما سبق إيراده في مفارقة نافع بن الأزرق للخوارج ثم مفارقة النجدات له ثم مفارقة زياد ابن الأصفر للأزارقة ثم مفارقة الإباضية لعموم طوائف الخوارج. و لهذا من قرأ منكم في سير المقالات و كتب الملل و الفرق وجد أن للخوارج أسماء كثيرة الشيبية نسبة إلى شبيب بن ربعي العمرانية و الحطانية العجاردة نسبة إلى عبد الكريم عجرد. و هكذا كل رجل يخالف إمامه أو معسكره أو فرقته ينفصل عنهم بفرقة أخرى يتبعه من الدهماء حتى ينشأ لهم فرقة تكون لهم شوكة يقاتلون عليها أو يخرجون بها على السلاطين أو على جماعات المسلمين.

الأمر الآخر أن الخوارج في متقدميهم كانت لهم شوكة و منعة و كانوا يستفسدون. و اتسفسادهم هذا الخروج , و هذا الاعتقاد ناشئ عن دين و اعتقاد يعتقدونها¹... الله جل و علا. و هذه السمة يتميزون بها عن غيرهم من الفرق أصحاب المصالح و الرئاسات و الأحقاد الشخصية. الخوارج خرجوا فيما خرجوا فيه عن دين و عقيدة حتى ارتضى منهم من ارتضى أنه يقتل عليا ينال بها عند الله رتبة. ففي فعله هذا يتقرب به إلى الله جل و علا و كذلك الذي قتل الزبير بن الجرموز و الذي حاول أن يقتل عمرو بن العاص أو معاوية رضي الله عنه.

الخوارج المتقدمون عندهم هذا الأمر. المتأخرون الدين و التقرب إلى الله بالعمل عند عامتهم و من ينتسب إليهم حيث ينطلي عليهم دعوات الجهاد في سبيل الله الغيرة على محارم الله, الانتصار و الانتقام لعورات المسلمين. هذا الباعث عند عامة من ينتسب إليهم. لكن عند الكبار أهداف أخرى و مقاصد بعيدة لا تبعد عن مقاصد المنافقين و أهدافهم إما لحظ الدنيا أو حناقة على الدين و على أهله.

التنبية الثالث أن الخوارج لا يزالون في خروجهم كل ما سنحت لهم الفرصة. و دافع ذلك و بطانته الجهل الذريع بدين الله و قلة العلم الذي يكون جهلا مركبا بتعاليمهم و غرورهم على العلماء. فإذا تعالوا و اغتروا بعلمهم و اجتهادهم و تأويلهم و ما يبدو لهم من الآراء على العلماء ينشأ من ذلك اعتزاز بما عندهم و تسفيه لمن خالفهم. هذا الشعار يبقى في الخوارج

¹ كلمة غير مسموعة

إلى أن يكون آخرهم يخرج مع الدجال. و هاهنا وقفة: لماذا أخبر p أنهم لا يزالون يخرجون حتى يكون آخرهم مع الدجال؟ من أتباع الدجال؟ من هذه سيرتهم و هذا بطانتهم, فإن الدجال سيتبعه الكفار و لا غرابة فإنه من طينتهم و الكفر ملة واحدة لكن من يتبع الدجال من المسلمين, لم؟ لقاعدة الجهل.

فإن الدجال من أتباعه الأعراب الذين شأهم قلة العلم و قلة البصيرة و البعد عن جماعات المسلمين التي يسمعون فيها القرآن و الفقه بالقرآن و الحديث و معاني الأحاديث. و لهذا يأتي الدجال إلى أعرابي في ذوده, في إبله, في غنمه فيدعوه إلى أن يؤمن به ربا.

فيقول له: "أنا أكفر بك." و الدجال يتمهل مع هؤلاء و أمثاله. يقول: "أرأيت إن أحييت لك أباك و أمك أفتؤمن بي." يقول: "نعم", لأنه يعتقد أن المحي و الميت من هو؟ هو الله جل و علا لكنه لا يدرك عور حبائل و خوارق هذا الخبيث. و الدجال معه جن و شياطين فيأمرهم فيتمثلوا بصورة أبي ذلك الأعرابي و صورة أمه. فيأتيان إليه يقول: "يا فلان ما تعرفن؟" فيقول: "أنت أبي و أنت أمي." لأنه ظن أن هذا أبوه و هذه أمه و هم جن و شياطين تمثلوا بصورة أبيه و صورة أمه و هذا لا ينظلي على أهل العلم و على طلبة العلم فيقولان له: "اتبعه فإنه ربك."¹ فيضمحل و يزول ما معه من إيمان و ما معه من علم, فيتبعه يظن أن هذا ربه و أوتي من باب الشبهة التي استحكمت على قلبه لعدم وجود ما يدفعها من العلم و من العقل و من البصيرة.

كذلكم الشأن في أتباع الدجال من الخوارج يظنون أنهم يحسنون و أنهم مجاهدون و أنهم يقومون بالحق و هم في الحقيقة يسعون إلى هدم دين الله, و لا أدل عليه من قتلهم المسلمين الموحدين و تركهم أهل الشرك و أهل الوثنية. لهذا أكثر أتباع الدجال من هؤلاء و سيسالهم الخوارج. يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الأوثان, بل يتأولون ذلك بأن يجعلوا الآيات التي جاءت في الكفار في المسلمين كما سبق ذكر أمثله في سابقهم. و من هذا الباب ما روى البخاري في صحيحه من حديث أي هريرة أنه رضي الله عنه: ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعتهن من النبي p قال: "هم أشد أمتي على الدجال, و قال لما كانت عند عائشة

¹ أخرجه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد (453/6 برقم 27568).

منهم جارية: "اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل" و لما جاءت صدقاتهم قال "جاءت صدقات قومي".¹

الشاهد في قوله أشد الناس على الدجال لوجود العلم و انتشاره فيهم و ما دعوة الشيخ محمد إلا من هذه الأسباب, أسباب انتشار العلم في هذه القبيلة من بين قبائل العرب حتى يكونوا في آخر الزمن خصوما لهذا الدجال, كاشفين له فاضحين لدجله و كذبه و مكره. و هم كذلك فاضحون لأعوان الدجال إذ الفارق العلم و الجهل فأتباع الدجال و منهم الخوارج شعارهم و دثارهم الجهل و التعالم و ادعاء العلم. و من يكشفهم هم العلماء الذين يكشفون مخططاتهم و مراميهم و يكشفون شبههم التي يدلون بها على عوام الناس و دهمائهم.

التبنيه الرابع - و أختتم به لألثفت إلى الأسئلة - و هو أن الخوارج في هذا الزمان شابهوا الخوارج المتقدمين, و إن لم تكن المشابهة من كل وجه. فلا يلزم أن تكون المشابهة بين فرقة و أخرى من جميع الوجوه, و إنما التشابه يكون من بعض الوجوه, كما ذكر الله جل و علا في الكفار و في المنافقين و في أضرارهم أنها تشابهت قلوبهم, و لا يلزم بالتشابه أن يكون من كل وجه و إنما من بعض الوجوه.

الحسد شبه بين المنافقين و بين اليهود. أليس كذلك؟ و هو شبه بين ضعاف الإيمان و ضعاف الخلق من المؤمنين بهؤلاء اليهود, كما قال الله جل و علا في آية النساء: (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما)

كذلكم في ما يتعلق بالتشابه بين فرق الخوارج المتأخرين. الخوارج الأوائل منهم بغاة لأنهم بغوا على الجماعة. و منهم أضافوا على البغي اعتقادا فصاروا خوارج بخروجهم على الجماعة, بخروجهم على ولي الأمر. و الجماعة ملازمة لولي الأمر إذ لا جماعة في ديننا إلا بإمام, بولاية أمر. و لهذا لما فاصلوا الجماعة جعلوا لهم إماما و أميرا و أتوا بأشياء شابهوا فيها الخوارج

¹ أخرجه البخاري في كتاب العتق باب من ملك من العرب رقيقا فوهب و باع و جامع و فدى و سبى الذرية (2543) و مسلم في كتاب الفضائل باب من فضائل غفار و أسلم و جهينة و أشجع و مزينة و تميم و دوس و طيء (2525).

فصاروا منهم و إن لم يشابههم بكل وجه. قد يوجد من الخوارج المعاصرين من لا ينكر حد الرجم أو لا يأمر امرأته بأن تقضي الصلاة كما فعل الحرورية الأوائل حيث كانت المرأة عندهم إذا غسلت ألزمت بقضاء الصلوات كما تقضي الصيام و لهذا سألت معاذة بنت عبد الله عائشة رضي الله عنها قالت: يا أماه ما بال الحائض تقضي الصوم و لا تقضي الصلاة؟ فقالت رضي الله عنها: "أحرورية أنت أ خارجية أنت." لأن هذا المعنى اشتهر و ظهر عن الخوارج قالت لا يا أمه و لكني أسأل قالت: "كان يصيبنا ذلك على عهد النبي ﷺ فنؤمر بقضاء الصيام و لا نؤمر بقضاء الصلاة."¹ فكانوا يلزمون نساءهم بذلك. خوارج هذا زمن قد لا يلزمون نساءهم بذلك و إنما يجتمعون بهم في الخروج على جماعة المسلمين إما بدعوى الجهاد, إما بدعوى إنكار المنكر إما بدعوى الغيرة على محارم الله إما بدعوى أخرى: أن هؤلاء كفروا باتفاقيات و معاهدات عقدوها, أن هؤلاء عملاء أن هؤلاء... إلى غيرها من الألقاب التي يصفون بها من خالفهم. فالنتيجة هي تكفيرهم و استحلال دمائهم و أموالهم و أعراضهم و الخروج عليهم و هذا قاسم بين الخوارج الأوائل و الخوارج المتأخرين. من الخوارج المتأخرين جماعات حملت راية الغيرة على دين الله فينطلي ذلك على الدهماء و على عامة الناس و لا ينظرون إلى أبعاد هذا الأمر. ربما يصاحب ذلك بعض الظروف من الشدة و الضغط عليهم من قبل الأنظمة أو غيرها. هذه الشدة و الضغط ولدوا ردة فعل ثم يتنقلون عندئذ على مراحل: منهم من يسمى جماعة تكفير أو جماعة هجرة و قد تلازمت جماعة التكفير و الهجرة بجماعة واحدة لأن من لوازم التكفير أن يهاجر عن كفروهم و أن يفاصلوهم و لا يعيشوا معهم.

تأتي أخرى, مرحلة أقل بالتوقف و التنبئة: يتوقفون في حال هؤلاء حتى يتنبؤوا عن شأنهم أهم مسلمون أو غير مسلمين؟ أهم معهم أو غير معهم؟ يقيمون الحجة عليهم أو لا يقيمونها؟ يعذرون أو لا يعذرون؟ فهم الحجة أو عدم فهم الحجة؟... المسائل التي تثار فيها الشبهات عند أفراد هؤلاء و ربما نضحوا بها إلى غيرهم.

يأتي من هؤلاء من يميز بأن يطلق التعيين بالتكفير, كل من خالفه فهو كافر و هذا قاسم مشترك بين أولئك الأوائل و بين من خلفهم من المتأخرين.

¹ تقدم تحريجه.

كان متقدمو الخوارج أتقى لله من المتأخرين, لهذا وجد عند المتأخرين من يترك الجمعة و الجماعة, من يجاهر بالمعاصي و لا تزال وسائل الإعلام و الأخبار ناضحة بأخبار هؤلاء الذي يجاهرون بالمعاصي يشربون الخمر, يزنون, يأكلون الربا يستحلون الأعراض و يبنون بذلك على شبهات يعتقدونها أدلة و هي شبه:

شبه تهاقت كالزجاج تخالها ... حقا وكل كاسر مكسور

لا شأن لها! الزجاج له جرم يظنه السادج أنه قوي فإذا ضربته بغيره انكسر و تفتت و أصبح لا شيء كهذه الشبه التي تكون عند أمثال هؤلاء...

الدرس الرابع

بسم الله الرحمن الرحيم, الحمد لله رب العالمين صلى الله و سلم على عبده و رسوله و نبينا محمد سيد الأولين و الآخرين و المبعوث رحمة للعالمين و على آله و أصحابه و من سار على نهجهم و اقتفى أثرهم إلى يوم الدين و سلم تسليما كثيرا.

الروافض

أما بعد, فهذا هو المجلس الرابع في ذكر أصول الفرق, و إنا و إياكم في هذا المجلس و الذي يليه في إلماعة موجزة عن الروافض, إذ هي الفرقة الثانية في تسلسلها التاريخي في خروجها بعد عهد النبي ρ .

و الروافض, قد تنبأ بخروجهم النبي ρ إذ أخبر في غير حديث لعلي رضي الله عنه أنه ستغلو فيه طائفتان: في جفائه و هم النواصب من الخوارج و في الغلو فيه و هم الروافض المسمون بالشيعة. و لهذا قال القحطاني في نظمه:

.... و عليه تصلى النار طائفتان

(و عليه) أي على علي رضي الله عنه

إحدهما لا ترتضيه خليفة.....و تصيره الأخرى إلها ثان

ظهور الروافض

ظهرت الروافض في عهد علي رضي الله عنه بل في أواخر عهد عثمان لأنه صاحب ما قام به الخبيث عبد الله بن سبأ اليهودي الصنعائي اليماني في نشر مثالب عثمان و معايبه أنه نشر في مقابله أن عليا أولى بالخلافة منه. و كان يسر بهذا الأمر لمن يطمع من الغوغاء و من الدهماء أن يستمع له. فإن أوقفهم على مثالب عثمان و قنعوا بذلك أورد لهم أن عليا أولى بالخلافة.

اسمهم الصحيح ذكر السبب في ذلك

هؤلاء الروافض هذا هو اسمهم الصحيح المناسب لهم, و سبب هذه التسمية أنه بعد ما مات علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب الملقب بزین العابدين - الإمام السجاد - الذي مدحه الفرزدق بقوله:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته.....و البيت يعرفه و الحل و الحرم
و ابن خير عباد الله كلهم.....هذا التقى النقي الطاهر العلم¹

لما مات علي بن الحسين امتحنوا ابنه زيدا. امتحنوه حيث كان زيد يرى إمامة أبيه و أجداده, فامتحنه أولئك الروافض في الشيخين أبي بكر و عمر. فقال: هما وزيرا جدي. فأثنى عليهما و ترضى عنهما فلم يقبل منه الروافض ذلك فرفضوه و جعلوا الإمامة في غيره. جعلوا الإمامة في محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر و من ذلك الوقت ظهر اصطلاح الروافض و قبل ذلك كانوا يعرفون بالشيعة أو غالبية الشيعة.

¹ انظر ترجمة علي بن الحسين في تهذيب الكمال

و أصل التشيع الانتصار لعلي رضي الله عنه في الجمل ثم في صفين ثم في مقابل خروج النواصب من الخوارج, لكن هذا الأمر ازداد و استفحل في حياته رضي الله عنه. لأن في تأريخ الفرق نجد شخصيتين أكثر تأثيرا بالغا في افتراق المسلمين:¹

أولهما عبد الله بن سبأ اليهودي الصنعاني الذي دخل في الإسلام حنقا له و شنقا بما فيه كما فعل سلفه بولس لما دخل في النصرانية فأفسدها عبد الله بن سبأ هو الذي هيح الخوارج الغوغاء على عثمان ثم على علي. و هو الذي أورث الغلو في علي, لأنه وجد في عهد علي رضي الله عنه غالبية الروافض كما سيأتي في أقسام الروافض إلى ثلاثة أقسام. قبل ذلك مصطلح الرفض عرفنا سببه و أنه هو المصطلح الذي يجب أن يدرج عليهم و يسموا به لأنه الوصف المناسب اللائق بهم من إمام من أئمة آل البيت و هو زيد بن علي بن الحسين.

في المقابل لا يصلح أن يطلق عليهم اصطلاح الشيعة لأنه اصطلاح يجونه و يتمنونه و هم الذين يذيعونه و ينشرونه على أنهم أنصار لآل البيت و أنصار لأبناء فاطمة من الحسن و الحسين و أبنائهما.

تجدون إذا قلبتم كتب السير و كتب الفرق بل و كتب الرجال في التراجم و كتب الجرح و التعديل وصف بعض الرواة بأنه شيعي أو بعضهم بأنه شيعي غال و هذا الأمر لا بد أن ينتبه له في التمايز الكبير بين هذا الوصف - التشيع - و بين ما عليه هذه الفرقة الكبيرة. فإن الشيعة عند السلف في المائة الأولى و الثانية و الثالثة اسم لمن فضل عليا على عثمان و لهذا يسمون بالمفضلة: اعتقدوا أن عليا أفضل من عثمان.

و قد كان في هذه المسألة في أول الأمر نوع خلاف ثم انعقد الإجماع في آخر المائة الثانية و أول الثالثة على أن عثمان أفضل من علي. و هذا هو القول الصحيح عند السلف². و سبب ذلك أن ما جاء في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رضي الله تعالى عنهما

¹ لم يذكر الشيخ الشخصية الثانية

² كلمة غير مسموعة

قال: "كنا نقول و النبي ρ حي بين أظهرنا (أي يسمع كلامنا) أفضل الناس بعد النبي ρ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان."¹

أخذ العلماء من ذلك فضل عثمان على غيره كما أخذوا أن هؤلاء الثلاثة أفضل أتباع الأنبياء بالإطلاق لقوله رضي الله عنه: "أفضل الناس بعد النبي ρ" فيكون هؤلاء أفضل أتباع الأنبياء بالإطلاق. و هذه مسألة لطيفة من لطائف مسائل العقيدة التي يذكرها أهل السنة في فضل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي: أن هؤلاء الأربعة أفضل أتباع الأنبياء فيفضلون على أتباع موسى و أتباع عيسى و أتباع من قبلهم لعموم قول ابن عمر: "كنا نقول و النبي ρ حي بين أظهرنا أفضل الناس بعد النبي أبو بكر ثم عمر ثم عثمان." و قلنا بعد النبيين لأن مقام النبيين أرفع من مقام غيرهم و هذا أمر مستقر معلوم.

الدليل الثاني قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما بقي أربعة أيام بثلاث ليالي ينظر في أمر الناس يشاور الصحابة و السابقة و النساء و أمراء الأجناد فيمن يستحق أن يبايع بعد عمر. فلما كان في صبيحة اليوم الرابع قام بعد صلاة الفجر ثم قال: "إني نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون بعثمان. قم يا عثمان لأبايعك." فقام عثمان فبايعه عبد الرحمن ابن عوف ثم بايع علي عثمان رضي الله عن الجميع. فهذا فيه فضل عثمان على علي و كلاهما في الفضل مشتركان.

الدليل الثالث، ما جاء عن أيوب ابن أبي كريمة السخيتاني رحمه الله و هو من سادة التابعين أنه قال: "من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين و الأنصار." (أزرى) يعني احتقر ما اختاره المهاجرون و الأنصار لما قدموا عثمان على علي.

وجد في المائة الأولى و الثانية من قدموا عليا على عثمان و تبعهم أطراف من العلماء في المائة الثالثة، ثم انعقد الإجماع. و لهذا يروى عن الإمام أبي حنيفة أنه كان يرى أن عليا أفضل من عثمان و أن عثمان أولى بالخلافة. و هذه المسألة مسألة ليس تحتها كبير طائل لمن تأمل،

¹ أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه . (3697) قال القحطاني في نونيته: وأجل صحب الرسل صحب محمد ... وكذلك أفضل صحبه

فيرى أن عثمان أولى بالخلافة لكن لعلي فضله. ثم انعقد الإجماع على أن ترتيب الخلفاء في الفضل كترتيبهم في الخلافة: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم. الشيعي في اصطلاح العلماء, في كتب الرجال و التراجم و السير هو من قدم عليا على عثمان سواء في الفضل أو في الخلافة فيقال له شيعي, من غير ازدراء و لا احتقار و لا مسبة لعثمان. فإن سب عثمان يسمى رافضيا, فإن قدم عليا على الشيخين أبي بكر و عمر يسمى بالشيعي العالي أو الشيعي المحترق, و هذا نبه عليه الحافظ الذهبي في مقدمة ميزان الاعتدال. إذن من قدم عليا على أبي بكر و عمر من غير مسبة لأبي بكر و لا لعمر رضي الله عنهم يسمى شيعي غال أي محترق في التشيع, إلى أن كانت أثناء المائة الثانية, لما رفض الشيعة زيد بن علي بن الحسين, فسموا بعد ذلك رافضة في اصطلاح العلماء.

قد يتجاوز بعض العلماء فيسميهم شيعة لكن على تقدير شيعة الشيطان, كما يمر عليكم في نظم ابن القيم في النونية مرارا يصفهم بشيعة الشيطان¹. و لهذا من شواهد تسميتهم بالروافض في متون الاعتقاد الكثيرة قول القحطاني: إن الروافض شر من وطئ الحصى..... من كل إنس ناطق أو جان مدحوا النبي و خونوا أصحابه..... و رموهم بالظلم و العدوان و كتب العلماء في الرد على الروافض من القرن الثالث فما بعده شاهد على هذا المعنى.

طوائف الروافض

الروافض ينقسمون من حيث فرقهم الكثيرة إلى ثلاث طوائف كبار. و كان جماعة من السلف يخرجون الروافض عن الثنيتين و السبعين فرقة التي افتتقت عليها أمة محمد ρ . جاء ذلك عن ابن المبارك و عن غيره يخرجونهم عنهم لأن من مقالة الروافض ما هو خارج عن

¹ من ذلك قوله في ذكر كتب شيخ الإسلام ابن تيمية:

و اقرأ كتاب العقل والنقل الذي ... ما في الوجود له نظير ثان

وكذاك منهاج له في رده ... قول الروافض شيعة الشيطان

قول أهل الإسلام قاطبة و إنما هو ألصق إلى قول غير المسلمين كغلاة الروافض الروندية و الديسانية و القداحية.¹

جمع من كتاب الملل و المقالات يلحقهم بالجوس و بالشعوبيين. و هذا عند التحقيق له حظ من النظر و التأمل, لكن من ألحقهم بالمسلمين لأنها فرقة وجدت في تأريخ المسلمين و انتسبت بزعمها إلى الإسلام.

ينقسم الروافض إلى ثلاث طوائف عظيمة:

- الطائفة الأولى: الغلاة - غلاة الروافض - و يسمون بغلاة الشيعة في كتب المقالات المتقدمة ككتاب "مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين" لأبي الحسن الأشعري يسميهم بغلاة الشيعة و عد هؤلاء الغلاة فرقا كثيرة منهم من أوصلهم إلى عشرين فرقة و عددهم الأشعري إلى خمس عشرة فرقة و منهم من يزيد و منهم من ينقص عن ذلك. قبل الكلام على الغلاة, الروافض في افتراقهم نافوا على الستين فرقة لمن تأمل كتب المقالات و كتب الفرق و الملل و النحل. نافوا على الستين فرقة, بل هذا ما ذكره كتاب الفرق من الشيعة أنفسهم فإن النوبختي في كتابه فرق الشيعة: ذكر فرقا كثيرة للروافض. و هذا قرره شيخ الإسلام في مواضع كثيرة أشهرها في كتابه "منهاج السنة النبوية في نقد كلام الشيعة و القدرية". و هذا من أجمع الكتب و أقواها و أعمقها في الرد على الروافض لما ناقش و رد على كتاب "منهاج الكرامة" لابن المطهر الحلي الرافضي البغدادي. و أنا أوصي طلاب العم بقرأة هذا الكتاب و التأمل فيه و لو بدراسته على المشايخ لأنه كتاب عظيم, يعجز طالب العلم و هو يصفه بهذا الوصف بأنه كتاب عظيم و من حينما ظهر هذا الكتاب و العلماء يحتفون به.

من الشواهد التي أخبرنا بها المشايخ أنه لما طبعت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في بولاق في مصر سنة أربع و عشرين و ثلاث مائة و ألف طبع "منهاج السنة" في مجلدين بأربعة أجزاء. قالوا كان يقرأ الكتاب على أحد العلماء في بريدة و هو الشيخ إبراهيم ابن جاسم و هو شيخ الشيخ عبد الرحمن بن السعدي و كان من علماء الحديث. كان يقرأ عليه هذا الكتاب من فرحهم به و كان الشيخ يرمي برأسه بين ركبتيه و يبكي و يقول: لو لم يقبض الله جل و

¹ الروندية أتباع أبي هديدة الروندي و الديسانية أتباع ديسان القداحية أتباع ميمون القداح

علا لهذا الكتاب - كتاب منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي الرافضي - لو لم يقيض له شيخ الإسلام فيرد عليه هذا الرد من سيرد عليه؟ و لهذا من أعظم القواصم ...¹ في هذا العصر الحديث و هو هذا الكتاب بانتشاره وطباعته و توزيعه و قراءته بين المسلمين. و للأسف أن كثيرا من طلبة العلم بل من المدرسين المشتغلين بالعلم لا يعرفون من هذا الكتاب إلا حجمه أو مقدمته و القلة منهم من جرده و نظر فيه و قرأ فيه. و هذا يدل على أمر لا يليق بطلبة العلم و لا بأهل العلم و هو إغفالهم القراءة في مطولات كتب أهل السنة و لا سيما كتب هذا الإمام العالم فقد قربت إليهم رخيصة الأثمان و نقحت و صححت و حققت و علق عليها ما بقي إلا القراءة و التأمل و الدراسة فيه. حتى اعتنى العلماء رحمهم الله بهذا الكتاب فجرد الذهبي الرد على الروافض خصوصا من هذا الكتاب في منتقى الاعتدال. جرد من كتاب منهاج السنة ما يتعلق بالرد على الروافض. و شيخ الإسلام لما جمع الكلام على الروافض و على القدرية في كتاب واحد لنكتة عظيمة: لأن الروافض بعد القرن الثالث أضحوا قدرية, الاعتزال دخل فرق الروافض.

أعود على تقسيمات فرق الروافض و طوائفهم:

الطائفة الأولى الغلاة غلاة الروافض و هؤلاء الذين غلوا في علي رضي الله عنه خاصة. منهم من زاد غلوه في علي و آله الحسن و الحسين و منهم من زاد غلوه في علي و فاطمة و الحسن و الحسين و نسلهما لا سيما نسل الحسين حتى اعتقدوا أن عليا هو الله أو أنه يعلم الغيب أنه إذا ارتفع عن الأرض فإنه يرجع إليها, و هي عقيدة الرجعة, أي جعلوا في علي رضي الله عنه خصائص الربوبية من علم الغيب أو أنه الرب أو أنه الذي يسوق السحاب بصوته و أن البرق صوته و الرعد صوته و يسوق السحاب و يضربها و أنه يعلم الغيب و ينفع و يضر. و لهذا عند المتأخرين منهم أنه يدعى من دون الله "يا علي مدد" و يستغاث به من دون الله لأن هذا فرع من اعتقاد هذه الخبيصة فيه.

الذين ادعوا هذا في علي كانوا في سوابق الروافض و أسسه فيهم عبد الله بن سبأ و وجد ذلك في الكوفة بعد ما قضى علي رضي الله عنه على الخوارج.

¹ كلمة غير مسموعة

اشتهر هذا المقال سرا بين فئام منهم و بدأ يزداد و يفشوا و ينتشر إلى أن نما علم ذلك إلى علي فغضب غضبا عظيما و تتبعهم و قبض عليهم و سجنهم. فنصحهم و هددهم أنه ما هو إلا بشر ليس له من علم الغيب و ليس له من خصائص الربوبية شيء! فأبوا لأن هذه المقالة فشت فيهم فشوا حتى أصبحت اعتقادا يعتقدونه.

فخد في سوق الكوفة الأخاديد - الحفر - أتى بالفعللة العمال و خدوا فيها الأخاديد و أوقد فيها النيران. و ثلاثة أيام في كل يوم في ارتفاع الضحى يخرجهم من حبسهم ثم يوقفهم على النار و يهددهم: إن لم يرجعوا عن مقالاتهم الفاجرة أنه سيلقيهم في النار و ما يزدادون إلا عنادا. يقولون: ما أنت إلا هو هو! فغضب رضي الله عنه فألقاهم في النار التي جعلها في الأخاديد في اليوم الرابع و قال مقالته المشهورة:

إني لما رأيت الأمر أمرا منكرا أججت ناري و دعوت قنبرا فحرقهم رضي الله عنه و قتلهم بالنار تحريقا. بلغ ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فلم يستسغ ذلك فقال: "رحم الله أبا الحسن لو أنه قتلهم بدل أن يحرقهم بالنار." لأنهم يعتقدون أنه لا يعذب بالنار إلا رب النار و أنه هو ربه فعذبهم بالنار. فبلغ ذلك عليا رضي الله عنه فصوب ابن عباس و لكن الذي حمل أمير المؤمنين عليا على ذلك هو غيرته على جناب الربوبية أن يعتقد فيه هذا الاعتقاد الباطل الفاجر.

هؤلاء الغلاة أصناف منهم السبئية الذين قالوا بألوهية علي. و شارك السبئية في ذلك طوائف, النصيرية المنتسبين لمحمد بن نصير الذين يسمون الآن بالعلوية منهم الدرروز أيضا منهم الديصانية منهم القداحية أتباع ميمون القداح و هو أساس العبيديين الذين كانت لهم دولة في شمال أفريقيا إلى مصر إلى أن تولت على الحجاز مدة. العبيديون المنتسبون زورا و باطلا و كذبا إلى فاطمة رضي الله عنها حيث يسمون في بعض كتب بالتأريخ بالفاطميين و ما هم بالفاطميين و إنما هم عبيديون الزنادقة الديصانيون.

من هؤلاء أيضا القرامطة الذين كانت لهم شوكة في الأحساء في أول المائة الثالثة و سرقوا الحجر الأسود و بقي عندهم مدة إلى أن استرجعه منهم المسلمون و قتلوا الحجيج في الحرم حتى ملؤوا بئر زمزم بالقتلى من الحجيج من حنقهم و قتلهم على المسلمين.

من هؤلاء الغلاة الباطنية - فرق الباطنية عموماً - الذين قامت لهم دول في جبال الديلم في خراسان وفي جبال اليمن و في بلاد الهند و هم أصناف و طوائف كثيرة أنوه إلى بعضهم الآن.

هؤلاء الغلاة منهم أيضاً البيانية المنتسبون إلى بيان بن سمعان النهدي أو الهندي اليمني الذي كان مشبهاً يشبه الله جل و علاً بخلقه. فكان من الغلاة لأن بيان بن سمعان هذا ادعى بعد ذلك النبوة و قتل بهذه الدعوة و تأول قول الله جل و علا في آل عمران (هذا بيان للناس) أنه هو، دليل على نبوته. و هذا بيان للناس هو في القرآن لكنه أوتي من غروره و تعاليه و كذبه و دجله.

عبد الله بن سبأ أين هو في ...¹ هذه الأمور؟ عبد الله بن سبأ لما قبض علي رضي الله عنه على هؤلاء هرب و قيل إن علياً نفاه قبل ذلك لما استشك و استراب منه إلى المدائن و غاب من المدائن. و المدائن في بلاد فارس، هرب إلى المدائن أو أنه نفي إلى المدائن و ما زال في بعث هذا المذهب الخبيث. و لهذا لما لم يعرف لعبد الله بن سبأ سنة وفاة و لا مكان وفاة شكك فيه من شكك من المسلمين و اعتبروه أسطورة لا حقيقة لها. و هذا التشكيك في عبد الله بن سبأ أول من قام به المستشرقون و تبعهم أذناهم و طلابهم من العرب المستغربين أي الذين ينظرون إلى الغرب. لماذا؟ لأن التشكيك في عبد الله بن سبأ يعني تبرير الخوارج و تبرير الروافض و تبرير مذاهب الردى و عبد الله بن سبأ مما اتفق عليه المؤرخون اتفاقاً لا يليق أن يكذب به. حتى إن من المتأخرين ممن اشتهر عنه التكذيب بعبد الله بن سبأ: طه حسين في كتبه و في رسائله.

الغلاة ما زالوا في ازدياد حتى جاءت الباطنية و الباطنية وصف يجمع عدة فرق حيث زعموا أن للدين ظاهراً و باطناً و من اعتقادات الباطنية اعتقادات خصائص الربوبية في علي رضي الله عنه، و لا يبلغ ذلك إلا من بلغ منه رتبة في المذهب.

اندرج تحت الباطنية فرق الديصانية باطنية الحشاشون الذين وجدوا في أواسط الدولة العباسية و الزنج الذين قامت لهم ثورة في سواد العراق في أوائل الدولة العباسية من الباطنية.

¹ كلمة غير مسموعة

من الباطنية الإسماعيلية و سمو بالإسماعيلية لأنهم افرقوا عن الإمامية الاثنا عشرية في إمامة إسماعيل و إسماعيل هو الإمام السابع في إمامة الرافضة كما سيأتي. فإن الإمام الأول علي ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن حسين زين العابدين الملقب بالإمام السجاد ثم محمد ابن علي بن الحسين الملقب بالباقر - لأنه بقر العلم - ثم جعفر بن محمد الملقب بالصادق. هؤلاء ستة متفق على إمامتهم بين طوائف الغلاة و طوائف الإمامية إلا الزيدية فإنهم خالفوا في محمد بن علي حيث زعموا الإمام زيد بن علي بن حسين.

لما بلغوا جعفر بن محمد الملقب بالصادق, جعفر كان له ابنان الكبير إسماعيل و الذي أصغر منه هو موسى الملقب بالكاظم. الإمامية جعلوا الإمامة في موسى فسموا بالكاظمية أو الموسوية, الإسماعيلية قالوا إن الإمام هو إسماعيل لأنه الأكبر و كان كل إمام باعتقاد...¹ كما سيأتي, يعتقد كل إمام يوصي بالإمامة لمن بعده. فسموا إسماعيلية بهذا الاعتبار, حيث جعلوا الإمامة في إسماعيل فمايزوا و فارقوا عامة الروافض الاثني عشرية.

الإسماعيلية الآن في زمننا يندرج تحتهم فرق منهم فرقة البهرة و سمو بالبهرة لاشتغالهم بحجار البهار و تجارة التوابل و البهار من التوابل. و لهذا البهرة الآن في العالم الإسلامي بل و في العالم العربي هم أصحاب التجارة الواسعة. من طوائفهم السليمانية الذين منهم الإسماعيلية في جنوب الجزيرة في اليمن و ما حولها في حراز و في ... و في غيرها و منهم فرقة تسمى بالداودية و هؤلاء باطنية يعتقدون أن للدين ظاهرا و باطنا.

هؤلاء الغلاة - غلاة الروافض - من السبئية و الديصانية و القرامطة و الحشاشين و الزنج و الشعوبيين و الباطنيين و الدروز و النيصيرة و العبيدية هؤلاء اتفق العلماء على كفرهم و أنهم أكفر من اليهود و النصارى بل و من كثير من المشركين. كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته عن النيصيرية و في غيرها حتى ذكر أنه لا يحل أوانيهم حتى تغسل و لا يجوز نكاح نسائهم.

هؤلاء غلاة الروافض و كتب فيهم ابن الباقلاني كتابه الشهير "فضائح الباطنية" و لم يوجد هذا الكتاب على حد علمنا و إنما نقل منه العلماء. و كتب فيهم أبو حامد محمد بن محمد ابن محمد الغزالي المشهور صاحب "إحياء علوم الدين" المتوفى (505). ألف فيهم كتابه

¹ كلمة غير مسموعة

"فضائح الباطنية و فضائل المستنصرية". اتفق العلماء على أن هؤلاء يدرجون عند عوام الناس الانتصار و التشيع و موالاته آل البيت فإذا أوجسوا من أحد رضا بما يقولون أوقفوهم على مثال آل البيت شيئاً فشيئاً إلى أن يوقفوهم على مثال علي رضي الله عنه حتى يخرجوهم من الدين. و لهذا في تاريخ الفرق ارتبطت الباطنية بالشعبوية الذين حنقوا و حقدوا على هذه الملة المحمدية الإسلامية. و دائماً الشعبوية ملازمة للباطنية. ما جاء بعد ذلك من فرق الروافض المتأخرة كالبهائية و البابية هي في الحقيقة من بوثة الباطنية الشعبوية.

من يسمون في القارة الهندية الآن بالقرآنيون (القرآنيون لأنها على سبيل الحكاية و إلا طردها من ناحية العربية القرآنيين لكن القرآنيون لأن هذا أصبح علم عليهم) القرآنيون من أولدهم في تاريخ المسلمين؟ الاستعمار لأنه وجد جهال من العجم لا يعرفون شرع الله و لا يعرفون الحديث قالوا نكتفي بالقرآن و ندع الخلافات و ندع الفرق. فتأثروا بخليط من المذاهب مذاهب الباطنية و مذاهب الخوارج و الفلاسفة و الجهمية و رعاها الاستعمار حتى وجد هؤلاء و لهم شوكة الآن في بلاد الهند و في جنوب شرق آسيا و حتى في أوروبا و في أمريكا و في أمريكا الجنوبية و في جنوب أفريقيا. و لهم سريان مثل سريان الشعاع في بعض المجتمعات لا يدري عنهم حتى يظهروا ما عندهم. لأنهم ملوا من الخلاف بزعمهم " و هذا حديث صحيح و ضعيف" قالوا: " إذن السنة كلها نبطلها و لا نعمل بها و لا نعول عليها و إنما حسبنا ما وجدنا في القرآن". و مر علينا بالأمس أن أول من أنكر السنة في تاريخ المسلمين الأزارقة الذين أنكروا حد الرجم و أنكروا أن لا تقضي الحائض الصلاة. و هذا ما تنبأ به النبي ﷺ أنه يأتي "رجل متكأ على أريكته يقول ما وجدنا في كتاب الله أخذنا و ما لم نجده لا نأخذ به و نظرحه".¹ فقال: عمر رضي الله عنه آية الرجم قرأناها و حفظناها و عملنا بها. لأن النبي ﷺ رجم خمسة في عهده: اليهوديين و الغامدية و ماعز و الجهنية. هؤلاء خمسة أقام

¹ أخرجه أبو داود من حديث المقدم بن معدي كرب و أبي رافع في كتاب السنة باب لزوم السنة (4604) و الترمذي في كتاب العلم باب ما ينهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (2664) و قال حسن غريب و ابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ و التغليظ على من عارضه (12).

عليهم الحد p. قال عمر: " آية الرجم قرأناها و حفظناها و عملنا بها ثم رفعت"¹ أي رفع لفظها و بقي حكمها.

هؤلاء الغلاة أثارهم في تأريخ المسلمين أثر كبير و حصل في بعض الأوقات أنهم دخلوا السلاطين لجهل من بعض سلاطين بني العباس و ممن بعدهم. و قامت لهم شوكة في جبال منيعة في جبال الديلم في خرسان و في أعالي جبال اليمن جهة **حراز** و غيرها كانت لهم شوكة و منعة لبعدهم. و قامت لهم دول في الدولة ... في الإمامة في القرن الثالث و في الدولة **الأصليحية** في اليمن. قامت لهم قوة و منعة حتى قتلوا المسلمين و خبر القرامطة مع الحجيج سنة (317) خبر مشهور في الكتب أنهم خلعوا الحجر الأسود من مكانه و ملؤوا الحرم و بثر زمزم من دماء و جثث المسلمين.

- الطائفة الثانية من طوائف الروافض: الزيدية و قدمتها قصدا حتى أطيل الكلام شيئا يسيرا في عامة الروافض الإمامية.

الزيدية هم أحف الروافض رفضا. و سمو بالزيدية انتسابا إلى زيد بن علي بن الحسين في أثناء المائة الثانية و قيل في أولها. فإن الروافض لما رفضوا زيدا انتصر له أتباعه فسموا بالزيود أو بالزيدية نسبة إليه. و الزيدية - كما ذكر كتاب المقالات - فرق حتى عددهم أبو الحسن الأشعري في المقالات ست فرق, أشهرها الآن الجارودية المنتسبين إلى أبي الجارود زياد ن أبي زياد. و منهم أيضا الهادوية الذين كثيرا ما يذكر مذهبهم ابن الأمير الصنعاني في سبل السلام حيث ساد هذا المذهب في اليمن لأنه قامت لهم دولة في اليمن. و إن كان متأخرو الزيدية ممن عنوا بالحديث, كان انتسابهم للزيدية انتسابا لفظيا و إلا فهم في الأعمال و في الفروع على طريقة الحديث لكن لا بد أن ننتبه إلى أمر مهم يتعلق بالزيود!

الزيدية لم يكن يسبون الشيخين أبا بكر و عمر و لم يكونوا يسبون الصحابة و إنما يعتقدون أن عليا أولى بالخلافة من عثمان. و غلاتهم يعتقدون أن عليا أولى بالخلافة من أبي بكر و عمر و أنه نص على إمامته كما سيأتي في أصل الإمامة عند الروافض, نص على إمامته هذا مذهب غلاة الزيدية.

¹ أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا (6829) و مسلم في كتاب الحدود باب رجم الثيب في الزنا (1791) و اللفظ له.

أيضا غلاتهم كانوا يسبون معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما لأنه قاتل عليا و علي أولى منه بالخلافة فقد كان ظلما جائرا في مقاتلته كما زعموا. و عامتهم يسبون يزيد ابن معاوية ابن أبي سفيان لأنه في عصر يزيد حصل على الحسين ما حصل من مقتلة الحسين لما قتله ابن الزيات. و لهذا تسمعون حتى من بعض المنتسبين من عوام الزيدية من ي... عند العمل "العن يزيد و لا تزيد" إذا كان يعمل عملا و المقصود يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنهما.

الزيدية - كما ذكر العلماء - في أول المائة الثالثة دخلهم مذهب المعتزلة فأصبح الزيدية معتزلة فحملوا راية الاعتزال فلا يكاد يوجد عالم زيدي إلا و هو في باب التوحيد و باب القدر معتزلي. و جمهور الزيدية على مذهب المعتزلة في باب الإيمان : أن الإيمان قول و اعتقاد و عمل إذا ذهب بعضه ذهب باقيه. و لهذا عنوا بالفروع في الأحكام التفصيلية و رتبوا عليها الجزاءات الكثيرة لأن ذهاب بعض الإيمان ذهاب له جميعا.

و من الزيدية, من معطلتهم و متكلميهم و فلاسفتهم من نحا في الإيمان منحاً الجهمية المحضة أن الإيمان هو الإقرار بالله و برسوله و بإمامة علي فقط كما سيأتي. و قلت لكم أن الاعتزال داخل الزيدية و داخل الخوارج و لا سيما الإباضية و داخل عوام الروافض, أضف إلى ذلك بعض العقلانيين الذين ربما أخذوا بمذهب الاعتزال كله أو أخذوا منه بما يوافقهم.

حتى إن أقسام الفلسفة الآن في بعض الجامعات, في الحقيقة هي المتبنية لمذهب الاعتزال لأن الاعتزال يقوم على العقل و الفلسفة تعظم العقل فبينها هذا القاسم المشترك.

الطائفة الثالثة و هي فرق كثيرة طائفة الإمامية. عدها أبو الحسن الأشعري في المقالات إلى أربعاً و عشرين فرقة و غيره منهم من زاد و منهم من نقص عن ذلك حتى إن الرازي في اعتقادات فرق المسلمين عدها عشرين فرقة.

هؤلاء الإمامية هم عامة الروافض و لهم أسماء كثيرة منهم من يعد الأسماء فرقا لهم و منهم من يعد الأسماء أوصافاً لهم و لا غضاضة في هذا كله. قد يكون فرق و قد تكون أسماء ناشئة عن أوصاف.

سموا بالإمامية لاعتقادهم إمامة اثني عشر إماماً أنهم معصومون: علي رضي الله عنه ثم الحسن لأنه أكبر أولاد علي ثم الحسين رضي الله عنهما ثم علي بن الحسين. لاحظوا أنهم يجعلون الإمامة في ذرية الحسين لا في ذرية الحسن و هذه لها نكتة أبينها إن شاء الله. ثم علي بن الحسين الملقب بزین العابدین ثم محمد بن علي بن الحسين الملقب بالباقر و لقب بالباقر لأنه أوتي علماً فكأنه بقر العلم. ثم جعفر بن محمد و هو جعفر الصادق و هذا جعفر بن محمد، يقول العلماء و منهم شيخ الإسلام بن تيمية: "إنه لم يكذب أحد على أحد من الناس ككذب الرافضة على جعفر بن محمد جعفر الصادق حتى إنهم نسبوا إليه أكثر من سبعمائة مؤلف. حتى أتباع المرسلين لم يكذبوا على أنبيائهم كما كذب الرافضة على جعفر بن محمد الصادق و لهذا في كتبهم المسندة و غير المسندة: "قال أبو عبد الله" من أبو عبد الله؟ هو جعفر بن محمد بأسانيد مقطعة أو مركبة و هي مكذوبة مخلوقة. ثم بعد جعفر الصادق إسماعيل عند الإسماعيلية لكن هؤلاء عندهم موسى بن جعفر الملقب بالكاظم ثم بعده علي بن موسى الملقب بالرضا ثم محمد بن علي الملقب بالجواد ثم علي ابن محمد الملقب بالهادي ثم الحسن بن علي الملقب بالعسكري ثم الثاني عشر محمد بن الحسن الملقب بالمهدي المنتظر الذي دخل السرداب كما يقولون في سنة (255) سرداب سمراء. و لم يخرج منه و لا يخرج منه لأن محمد بن الحسن أسطورة و كذب، فإن المشهور عند علماء التاريخ و علماء النسب أن الحسن بن علي العسكري ليس له عقب و أنه توفي في سنة مائتين و ستين. هؤلاء الأئمة الاثنا عشر عند هؤلاء الإمامية و لهذا سمو بالإمامية لأنه نص على إمامتهم النبي **ﷺ** نص على إمامة¹ علي و علي نص على إمامة الحسن. و عندهم من يقول إن النبي **ﷺ** نص على إمامتهم كلهم كما سيأتي في أصلهم الإمامة. يسمون أيضاً بالجعفرية نسبة إلى جعفر بن محمد الملقب بالصادق و عامة كتبهم في الفروع و في الأصول مبناهما على جعفر فيما ينسبونه و يكذبون به على جعفر بن محمد. يسمون أيضاً بالموسوية نسبة إلى موسى الكاظم. يسمون أيضاً بالعسكرية نسبة إلى الحسن العسكري و إلى ابنه محمد بن الحسن العسكري. و يسمون الاثنا عشرية نسبة إلى اثني عشر إماماً.

¹ كلمة غير مسموعة و تكلمة من عندي

هؤلاء الإمامية افترقوا فرقا كثيرة من أشهر فرقهم المتأخرة الشيخية نسبة إلى رجل في الأحساء يقال له الشيخ أحمد الأحسائي. ثم إن هذه الفرق افترت إلى أن أصحت رافضة عجم و رافضة عرب, لكل منها مرجعية خاصة به. و يسمون الآن في عرفهم بالمجتهدين و التقليديين. التقليديين الذين يتبعون مرجعية الإمامية الاثنا عشرية عندهم و المجتهدين من يحاول أن يجتهد في هذه الأصول فيخرج فروعا أخرى أو يجتهد في ولاية الفقيه و غير ذلك و هي درجات في سلمهم العلمي الديني.

هؤلاء الإمامية الجعفرية هم أكثر فرق الروافض انتشارا بل عامة الباطنية هم إمامية. عوام الباطنية عوام الدرور عوام الإسماعيلية عوام النصيرية عوام البهرة هم في الحقيقة إمامية في عباداتهم و في كثير من اعتقاداتهم. حتى إذا بلغ هذا أربعين سنة و بلغ في العلم مبلغا أوقف على السرائر فعلم السر الذي لا يعلمه إلا من يحصل شروطا منها أن يبلغ أربعين سنة و أن يتدرج في العلم, ينتقل من كونه فقيه إلى كونه جناح أو مقصود في درجاتهم و هي عند الباطنية سبع درجات عند الإسماعيلية أعلاها البرهان المطلق و هذا لا يصل إليه إلا النوادر, واحد أو أقل من واحد على مدى عشرات السنين.

عامة الروافض هم إمامية جعفرية اثنا عشرية. ما موقف المسلمين أهل السنة و الجماعة من هؤلاء الأئمة ؟ و هذا أمر مهم أن ينتبه له طالب العلم!

أهل السنة يتولون هؤلاء الأئمة جميعا أحد عشر لأن الثاني عشر هو في الحقيقة خيال تخيلوه و كذبة افتروها و صدقوها و أملوها على بعضهم بكرة و أصيلا. أهل السنة يتولونهم أما الستة الأوائل فيعتقد لهم الإمامة علي رضي الله عنه رابع الأربعة و الحسن و الحسين سبطا رسول الله ﷺ. و لهذا يقول القحطاني رحمه الله في التونية ذاكرا معتقد أهل السنة تجاه هؤلاء:

أكرم بفاطمة البتول و زوجها..... و من هما لمحمد غصنان

(فاطمة البتول) هي فاطمة بنت النبي رضي الله عنها, (و زوجها) علي رضي الله عنه , (و من هما لمحمد غصنان) الحسن و الحسين.

غصنان أصلهما بروضة أحمد لله در الأصل و الغصنان¹

¹ في المكتبة الشاملة :

أكرم بفاطمة البتول وبعلاها ... وبنهما لمحمد سبطان

أكرم بعائشة الرضى من حرة ... بكر مطهرة الإزار حسان

لما ذكر رحمه الله معتقد أهل السنة في الصحابة إجمالاً ثم بدأ بأفراد و أعيان الصحابة. إذن يعتقد إمامة علي رضي الله عنه و الحسن و الحسين فهما سيدا شباب أهل الجنة. الحسن أثنى عليه النبي ﷺ الثناء الخاص بقوله: إن ابني هذا سيد سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

كان ذلك في آخر سنة أربعين لما ولي الحسن الخلافة بعد أبيه علي لما قتله الخارجي عبد الرحمن بن ملجم سنة تسع و ثلاثين و ستة أشهر. ولي الخلافة الحسن ستة أشهر إلى تمام الأربعين ثم تنازل بالخلافة إلى معاوية ليجتمع شمل المسلمين بعد ما خير معاوية إما أتولى أنا أو تتولى أنت علي أن تعطي عهد الله و ميثاقه أن تقوم بالناس بدين الله و منهج رسول الله ﷺ. فتحقق في الحسن ما أخبر به النبي ﷺ أنه سيد و سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فاجتمع الناس على ملك و خلافة معاوية.

في هذا لطيفة: أن الحسن رضي الله عنه ولايته الخلافة ستة أشهر فتم بها ثلاثون سنة التي قال فيها النبي ﷺ: خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه من يشاء.

فإن من حسب ولاية أبي بكر سنتين و ثلاثة أشهر، عمر عشرة سنوات و ... أشهر، عثمان رضي الله عنه أربعة عشر سنة علي رضي الله عنه أربعة سنوات و تسعة أشهر ثم الحسن بن علي ستة أشهر فتم به ثلاثون سنة ثم أتى الله جل و علا الملك لمعاوية

أمر آخر أن الروافض لم يرتضوا هذا الفعل من الحسن لكن لا يستطيعون أن يذموه و يسبوه لأنه من العترة و من آل البيت فصارت الإمامة في أخيه الحسين حيث جعلوا الإمامة في نسل الحسين في علي بن الحسين. و ثمة مأخذ آخر له علاقة بالشعوبية و الباطنية فإن الحسين بن علي رضي الله عنه تزوج بنت يزيدجر فأنجب منها علي بن الحسين الملقب بزین العابدين. و كان العرب لا يتفأولون بأبناء الموالى حتى ولد من الموالى ثلاثة: علي بن حسين

غصنان أصلهما بروضة أحمد ... لله در الأصل والغصنان

أكرم بطلحة والزبير وسعدهم ... وسعيدهم وعباد الرحمن

من ابنة يزيد بن زين العابدين وسالم بن عبد الله بن عمر و هو بن خالة علي بن الحسين و القاسم بن محمد بن أبي بكر فهؤلاء الثلاثة علماء زمانهم.

القاسم بن محمد بن أبي بكر من فقهاء المدينة السبعة و علي بن الحسين هو زين العابدين إمام الحرم و سالم بن عبد الله بن عمر. و هؤلاء الثلاثة ابن عمر و محمد بن أبي بكر و الحسين بن علي بن أبي طالب تزوجوا أخوات ثلاث و هن بنات يزيد بن ملك الفرس. قال هؤلاء: إنه اتصل في علي بن الحسن النسب النبوي مع النسب الساساني. لأنهم كان يعتقدون لآل ساسان أنه فيهم خصائص الإلهية و أنهم هم القائمون على المجوسية. فاتصل هذا السبب بهذا النسب فكانت الإمامة في أبناء الحسين فقط دون أبناء الحسن. في علي بن الحسين زين العابدين ثم في ابنه محمد بن علي بن حسين الباقر ثم في ابنه جعفر بن محمد ابن علي بن حسين الملقب بالصادق. و هؤلاء الستة أئمة عند أهل السنة و الجماعة. جعفر الصادق توفي في سنة (148). من يليهم - موسى الكاظم و من بعده - منهم من له شأن في العلم أو في الدين و منهم من هم من أهل الزهد و العبادة و منهم من عوام المسلمين لكن له شرف انتسابه إلى هذا النسب النبوي أنه من آل البيت.

هذا الأمر يفتن له لأن بعض الجهال من أهل السنة يعادي هؤلاء الأئمة لمعاداته الراضية و هذا حيف و ظلم فإن هؤلاء الستة أئمة عندنا و إن غلا فيهم غيره. فإن غلو أهل الأهواء و البدع فيهم لا ينزلهم عن منزلتهم كما أن الغلو في النبي ﷺ أو في الأنبياء لا ينزلهم عن منازلهم التي أنزلهم الله إياها. كما أن غلو قوم نوح في الخمسة في ود و سواع و يغوث يعوق و نسر لا ينزلهم عن رتبة الولاية و العبودية لله جل و علا.

هؤلاء هم أئمة الروافض الاثنا عشرية الاثنا عشر.

أصول الروافض

ما أصول هؤلاء الروافض ؟ و هذا الموضوع الذي يتبته له لأن الأصول ثابتة من أول الزمان إلى آخره. التجديد إنما هو في الفروع و في الإخفاء أما الأصول فباقية.

الروافض لهم أصول شهيرة، أول أصلهم و أشهرها أصل الإمامة. و الإمامة عندهم هي الدين: اعتقاد الإمامة في علي رضي الله عنه أنه هو الإمام و هو أولى الناس بالخلافة. و لهذا اتفق آخريهم مع أولهم على أن من آمن بالله و اليوم الآخر و رسله و لم يؤمن بأن عليا هو الإمام المستحق للإمامة أنه كافر خالد مخلد في النار. و هذا عليه أولهم و آخريهم و لا يستطيعون إخفاءه أبدا. فلا يصح الإيمان عندهم بالله و باليوم الآخر و بالرسول و بالكتب إلا بالإيمان بإمامة علي.

لمن هي الإمامة؟ قالوا لمن أوصى إليه النبي ﷺ. فقالوا إنه أوصى صراحة لعلي فجحدها الصحابة جحده أبو بكر الإمامة و جحده عمر و جحده عثمان. و هنا في مناقشة هذه الفرية الباطلة دليل عقلي فضلا عن أدلة الشرع:

علي رضي الله عنه أليس عندنا و عندكم هو أشجع الناس و أقواهم و أشدهم فروسية الذي فعل الأفاعيل باليهود في خيبر؟ إذا كان هو الإمام المنصوص كيف يرضى أن يقهره عليها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ما دام أنه أولى بها بنص وصية النبي ﷺ إليه؟ أحد أمرين إما أنكم كاذبون في هذا أو أنه جبان و حشاه ذلك! لأنه إذا كان يعلم أنه الإمام و لم يطلبها لنفسه يدل على أنه لا يستحقها و هذا قدح دليل عقلي يقدر في زعمهم أن عليا هو الإمام.

أبلغ من هذا ألم نقل إن عليا هو أشجع و أقواهم كيف يرضى أن عمر يهتك عرضه في أم كلثوم. و هذا ينصون عليه أن عمر رضي الله عنه تزوج أم كلثوم زواج سفاح لا نكاح. كيف لا يغار علي رضي الله عنه على عرضه و يرضى و يسلم و يستسلم أن يأخذها عمر، و هم يكفرون عمر و يبغضونه؟ لأن القوم رخم، و معنى رخم أنهم ما عندهم من شهامة العرب و لا من مروؤتهم شيء فضلا عن الدين و الغيرة. كيف يكون علي رضي الله عنه يرضى أن عرضه ينتهك من هذا الذي يتهمونه؟ فلما علمنا من علي هذا الحال علمنا أنه ما زوج عمر إلا راضيا به كفتا بنته أم كلثوم لأنه يعتقد لعمر الفضل و السبق و السيادة و الريادة و هو وزير رسول الله ﷺ مع أبي بكر رضي الله عنهما.

إذن الإمامة عندهم منصوص عليها فيما أن النبي ﷺ نص على جميع الأئمة أو أن كل إمام ينص على الإمام الذي بعده. و هذا الذي عليه جمهورهم و لهذا لما بلغوا إلى جعفر الصادق

قالوا إن جعفرنا نص على الإمامة لموسى الملقب بالكاظم ففارقتهم الإسماعيلية فقالوا إن جعفرنا نص على الإمامة لإسماعيل لأنه الأكبر فافترق هاهنا الإسماعيلية عن عامة الروافض. الإمامة يرتبط بها أصل آخر و هو الوصية بأن كل إمام يوصي بالإمامة لمن بعده و أن النبي ρ أوصى بالإمامة بعده لعلي, فقال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي.¹ و الحديث صحيح لكن ليس في هذا التنصيب على إمامته رضي الله عنه بأنه الإمام بعد رسول الله وإنما التنصيب على فضله و أنه قريب من رسول الله كقرب هارون من موسى. فإن هارون أخو موسى و النبي ρ كان ربيبا لأبي طالب و ربي ρ مكافأة لأبي طالب عليا عنده حتى أنكحه بنته. فهو أقرب الناس إليه نسبا: ابن عمه و زوج بنته و ليس هو الوصي بعده. و هذا أمر متفق عليه حتى من علي رضي الله عنه لأنه بايع لأبي بكر ثم لعمر ثم لعثمان.

أدخلوا في الإمامة و الوصية عقيدة باطلة و هي سب الصحابة. كيف أتى و تطرق إلى الرافضة سب الصحابة ؟ من جهة الإمامة لأنهم قالوا: إن الصحابة جحدوا عليا الإمامة التي نص له بها, فسبوهم و طالوا بهذا الأمر إلى أن كفروا الصحابة إلا خمسة أو ستة أو أقل أو أكثر إلا علي و سلمان و المقداد بن الأسود و أبو ذر الغفاري عند بعضهم و عمار ابن ياسر و منهم من يخرج أبا ذر رضي الله عنه. قالوا إن الصحابة كلهم ارتدوا بعد رسول الله لأنهم لم يؤمنوا بإمامة علي بأنه أولى بالإمامة. إذن جاءهم سب الصحابة من هذا الأصل: أصل الإمامة و الوصية.

و مسألة سب الصحابة أريد أن أفصل فيها لأنه يتعلق به حكم التكفير. ما حكم سب الصحابة؟

سب الصحابة له ثلاث أحوال من حيث الحكم:

- الحالة الأولى أن يسب الصحابة جميعا بأي أنواع السب: إما بتكفيرهم أو بشتهم و لعنهم أو تخوينهم و هذا كفر مخرج من الملة لأنه تكذيب و اعتراض على الله و على رسوله ρ الذي جاء في القرآن و السنة في مدح الصحابة و الثناء عليهم و الترضي عنهم. فتكفير

¹ أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل علي ابن أبي طالب رضي الله عنه برقم

الصحابة جميعا إلا خمسة أو أقل أو أكثر فيه اعتراض و انتقاص على الله و على رسوله ρ و هذا كفر أكبر. لأنه جاء في القرآن (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) و السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم و رضوا عنه) (محمد رسول الله و الذين معه) الآيات في فضائل كثيرة في الصحابة عموما فضلا عما جاء في فضل بعضهم. فضل أبي بكر (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) و قوله تعالى في آخر سورة الليل (و لسوف ليرضى) فهي في أبي بكر خاصة.

- الحالة الثانية أن يسب من جاء فيه فضل خاص من الصحابة كأن يسب الشيخين أبي بكر و عمر الذين جاء فيهم قول النبي ρ: اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر و عمر.¹ و كالعشرة المبشرين بالجنة كعثمان و كأمهات المؤمنين, كأهل بدر, كأهل بيعة الرضوان كعكاشة بن محصن الأسدي, كسراقة بن مالك أي من جاء فيه فضل خاص من الصحابة. كسعد بن معاذ الذي جاء فيه من فضله الخاص أنه لما مات اهتز له عرش الرحمن.² من سب من جاء فيه فضل خاص فقد أتى كفرا أكبر لأنه اعترض و انتقص ممن مدحه الله جل و علا و أثنى عليه أو مدحه نبيه محمد ρ و أثنى عليه.

- الحالة الثالثة أن يسب من الصحابة من لم يأت فيه فضل خاص. مثلا أن يأتي من يسب عياض بن حمار المجاشعي أو إنسان من أطراف الصحابة ممن لم يأتي فيه فضل خاص. فهذا اختلف العلماء فيه على قولين: الأول أنه كفر أكبر لأن الصحابة جميعا لهم شرف الصحبة. و القول الثاني أن هذا كبيرة من كبائر الذنوب و أنه كفر أصغر يفضي إلى الأكبر. و هذا أرجح القولين لأن الغالب في السبر و التتبع أنه لا يسب من لم يأت بفضل خاص إلا من كان عنده إغماص على الصحابة إما لشبهة أو لاستشراق أو غيرها. أما شعار القوم فهو مسبة الجميع: من جاء فيه فضل خاص أو فضل عام أو لم يأت فيه بحد ذاته فضل خاص.

¹ أخرجه الترمذي من حديث حذيفة في كتاب المناقب باب في مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما (3662) و ابن ماجه في المقدمة باب في فضائل أصحاب رسول الله ρ (97).

² أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار باب مناقب سعد بن معاذ رضي الله عنه (3803) و مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل سعد بن معاذ (2466)

إذن الحالة الثالثة أنها كبيرة من كبائر الذنوب مثل من يسب حسان ابن ثابت بأنه فيه جبن كما عند بعض الكتاب, فهذا كبيرة من كبائر الذنوب لأن حسان مدحه النبي ﷺ بقوله: "اهجهم و روح القدس معك."¹

مسبة الصحابة رضي الله عنه على مراحل. أعظم مسبتهم أن يعتقد أنهم ارتدوا و كفروا. هذه أعظم ما تكون في مسبة الصحابة أي وصفهم بالردة و الكفر. و لهذا اعتقاد أن الصحابة ارتدوا بعد النبي ﷺ إلا أربعة أو خمسة حقيقتها القدرح في النبي ﷺ. كيف ذلك؟ هذا معروف في البداهة! إذا كان الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إذن رسول الله ﷺ ما أحسن التعليم و لا أحسن البلاغ و لا أحسن البيان.

يكون على هذا المبدأ فاشلا في تعليمه و تربيته و دعوته, حشاه من ذلك ﷺ. في مثالها المخصوص لو أن مدرسة رسب جميع طلابها يرجع بالمذمة على إدارتها و مدرسيها. كذلك الشأن إذا كان الصحابة كلهم ارتدوا بعد النبي ﷺ إذن الرسول ما أحسن التعليم و لا التدريس و لا بيان الدعوة و لا إبلاغ دين الله جل و علا و الله جل و علا وصفه بأنه بلغ البلاغ المبين , و أنه أكمل به الدين و أتم به النعمة و رضي به الإسلام دينا ﷺ. أدركوا هذا البعد, تعرفون حقيقة مذهب القوم.

من مراتب السب أيضا الشتم بأنهم انتهكوا الحقوق و المظالم, و هذه رتبة أقل من رتبة التكفير. من هذه المراحل اللعن حتى أن دينهم يقوم على لعن الصحابة و لا سيما الشيخين و بنتيهما عائشة و حفصة رضي الله عن الجميع. و هذا في الحقيقة أذية لعرض رسول الله ﷺ. كما أن مسبة عائشة بالفعل القبيح كفر أكبر لتكذيب القرآن و لأنه أذية لعرض رسول الله ﷺ. كيف ذلك؟ عائشة قيل فيها ما قيل و تولى كبر ذلك المنافقون عبد الله ابن أبي و غيره. لو أنها كذلك لما أبقاها تحته حتى يموت عنها بعد أكثر من ست سنوات. لو كان الأمر كذلك النيل منها في الحقيقة نيل من عرض النبي ﷺ. هذا يبين ما أشار إليه محققو العلماء كالباقلائي و أبي حامد الغزالي و شيخ الإسلام أن قصد أولئك النيل من رسول الله و من رسالته و نبوته و دينه. و اتخذوا الصحابة مطية إلى ذلك.

¹ أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق باب ذكر الملائكة (3212)

من ذلك النيل من أبي هريرة. لماذا أبو هريرة بذات من بين الصحابة توجهت إليهم سهامهم و رشقهم بالمسبة و القدح؟ لأن أبا هريرة رضي الله عنه هو أكثر الصحابة رواية لحديث النبي فإذا أسقط أبو هريرة ذهبت كثير من السنة لأنها جاءت من قبله.

من آثار مسبة الصحابة عدم الثقة بالقرآن لأنه ما جاء إلا من جهتهم. و عدم الثقة بالحديث فما جاء إلا من جهتهم و هذا إبطال للشريعة بالكلية و لهذا لما سبوا الصحابة اعتقدوا أن عندهم قرآنا غير القرآن الذي عند المسلمين فهذا من آثار سب الصحابة و هو إفتقاد هذه الصلة بيننا و بين رسول الله ﷺ. هذه الإماعة موجزة عن أثر سب الصحابة في حكمها و آثارها. إذن من أصولهم الإمامة و من الإمامة الوصية و اندرج تحتها سب الصحابة.

من أصولهم الرجعة. و الرجعة تفاوتوا فيها, عامة الإمامية في رجعة الإمام المهدي المنتظر الذي دخل السرداب في سامراء أنه يرجع في آخر الزمان فيملاً الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً و جوراً. عند الغلاة رجعة علي رضي الله عنه أنه لم يموت و إنما هو على السحاب يسوقها و يضربها فالرجعة من أصولهم.

من أصولهم أيضاً اعتقاد تحريف القرآن و هذا الأمر ينازع فيه كثير منهم و لكنه نضحت به كتبهم أن القرآن محرف و هذا بطبيعة الحال إذا سب الصحابة سب أبو بكر و عمر و عثمان و عامة الصحابة سبت عائشة و حفصة و القرآن جمعه أبو بكر ثم جمعه عمر فجعلها عند حفصة. مسبة هؤلاء عدم الثقة بما جاء من عندهم. فاعتقدوا أن القرآن محرف و أن مصحف فاطمة الذي عندها يفوق ما عند المسلمين بثلاثة أضعاف فإن مصحف فاطمة كما زعموا فيه ثمانية عشر ألف آية و مصحف المسلمين فيه ستة آلاف و نيف من الآيات. فاعتقدوا بتحريف القرآن. و قد عثر على كتاب متأخر لمحمد بن حسن الطبرسي من مراجعهم الكبار في القرن العاشر سماه "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" و هذا عامتهم و دهماؤهم ينكرونه لكنهم لن يستطيعوا أن يغالطوا ما جاء في كتبهم و أصولهم من أن القرآن محرف و أن ثمة مصحف آخر و هو مصحف فاطمة.

و لهذا هؤلاء الروافض لا يعتنون بكلام الله و القلة منهم من يحفظه و القلة منهم من يقرأه إنما يرددون سورا محدودة (قل هو الله أحد) و (قل يا أيها الكافرون). و منهم من يقرأ

الأحزاب, غير ذلك لا يقرؤونه و لا يعرفونه و إذا قدر أن أحدكم سمع رجلا يقرأ منهم القرآن يجد ...¹ كبير في قراءته لأنه لا يقرؤه لأنه يعتقد أنه ليس كلام الله, أنه محرف و لهذا في ركوعهم و صلاتهم يرددون (قل يا أيها الكافرون) و (قل هو الله أحد) فقط و ربما المعوذات معه هذا من آثار اعتقادهم بتحريف القرآن.

من أصولهم الشهيرة أصل التقية و تطلق عند العلماء بالتقية أيضا. و التقية ينسبون فيها أحاديث كثيرة إلى جعفر بن محمد بن علي بن حسين الملقب بالصادق أنه كان يقول: التقية ديني و دين آبائي. و أنه قال: من لا تقية له لا دين له. كذبا و افتراء و دجلا على هذا الإمام جعفر بن محمد لأنهم بالتقية يخفون أصولهم و يخفون دينهم و أن عليا إنما كانت عنده تقية و كذا من بعده ليبرروا الحقائق التاريخية التي لا يستطيعون لها دفعا ولا عنها مناصا. كيف يرضى علي أن يتولى عليه أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ؟ قالوا عنده تقية, أخفى الأمر في نفسه ما عنده قوة... و هذا قدح في علي شعروا أو لم يشعروا رضي الله عنه. إذن عندهم التقية و التقية باتفاق العلماء نفاق لهذا عدوها العلماء من نفاقهم زندقتهم و هم يتأولون قول الله جل و علا في سورة آل عمران عن الكفار (إلا أن تتقوا منهم تقاة و يحذركم الله نفسه).

و معنى (أن تتقوا منهم تقاة) أي فيما يتعلق بدينكم الذي لا تستطيعون أن تظهروه منهم لا أنه يخفى الدين كله بدعوى التقية, و لهذا عندهم من لا تقية له لا دين له. الأصل الخامس الذي تميز به هؤلاء الشرك بالله. و هو على نوعين: شرك في الربوبية ظاهر عند الغلاة و عند كثير من كبارهم في اعتقاد النفع و الضر لأئمتهم, أنهم ينفعون و يضررون, أنهم يحيون الموتى, أنهم يتصرفون في العالم أنهم يعلمون الغيب و هذا شرك في الربوبية. النوع الثاني الشرك في العبادة و يظهر ذلك في دعاء غير الله "يا حسين مدد" "يا فاطمة" "يا عباس" يظهر ذلك في الاستغاثة بغير الله يظهر هذا في الذبح و النذر لغير الله. كم من القرابين و النذور تساق و تذبح عند مقامات و عتبات أولئك الأئمة التي يزعمون أنها عتبات مقدسة. بل دينهم قائم على تعظيم القبور, تعظيم المقامات و الأضرحة و القبور بالبناء عليها و دعائها و الطواف بها و النذر لها و الذبح لها و الاستغاثة بها بل و أكل

¹ كلمة غير مسموعة

التراب و رجاء بركة هذه القبور و ما فيها. هذا هو دينهم! حتى في بلاد الحرمين يسمع منهم هذا عند الشدائد. المشركون الأولون في حال الشدة و الضيق و الضنك لا يعرفون إلا ربا واحدا. المشركون المعاصرون و في مقدمهم هؤلاء في حال الشدة و الضنك لا يعرفون إلا من عظموه من أسيادهم "يا حسين", "يا عباس", "يا فاطمة", "يا علي". و هذا ما نبه عليه الشيخ في تمايز المشركين الأولين على مشركي زماننا و أظهر ذلك من جهتين, هذه أحدها: أن المشركين الأولين في حال الشدة و العسر و الضنك لا يعرفون إلا ربا واحدا (و إذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين ثم إذا نجاهم إلى البر إذا هم يشركون).

أما مشركو زماننا - و في مقدمهم هؤلاء القبوريون الروافض - ففي حال الشدة كما في حال الرخاء لا يعرفون إلا معظيهم و من يغلون فيهم من آل البيت.

المظهر الثاني الذي يفضل به المشركون الأولون مشركي زماننا أن المشركين الأولين لو استحلّف بالله ما حلف بالله إلا صادقا. و مشركو زماننا لو استحلّف بالله لحلف بالله كاذبا و ما ضاره ذلك لكن لو استحلّف بالسيد الذي يعظمه كأن يستحلّف الرافضي بالحسين أو بالعباس أو بجعفر الصادق أو بعلي أو بالكاظم أو بالجواد أو بالعسكري لن يحلف به كاذبا. لأنه قام في قلبه في سره من مخافة هذا السيد, هذا الإمام, ما لم يقم في غيره و لهذا الشرك ظاهر فيهم في صرف العبادة - حق الله جل و علا - لغيره. هذه أصولهم الخمسة و أرجع رجوعا سريعا إلى الإمامة.

اعتقدوا في أئمتهم أن لهم مقام لم يبلغه لا نبي مرسل و لا ملك مقرب. و من جراء ذلك جاء أصل العصمة أن الأئمة معصومون لا يخطئون. بل جعلوا للأئمة مقام أعلى من مقام الأنبياء و في هذه الناحية اتصل التصوف بالترفض. الروافض عندهم الأئمة معصومون و هم أفضل و أعلى مقاما من الأنبياء و من الملائكة. الصوفية عندهم أن مقام الولي أعلى من مقام النبي و لهذا قالوا:

مقام النبي في برزخ.....فويق الرسول و دون الولي
على ما سيأتي إن شاء الله في ذكر الصوفية.

و من أصول الرافضة في الإيمان أن الإيمان عندهم هو الإقرار بالله و برسله و الإيمان بالإمام المنصوص عليه. فلو أنه أقر بالله و اليوم الآخر و الرسل و أنكر إمامة إمام منصوص عليه عندهم كفر و كان في الدنيا كافر و في الآخرة في نار جهنم.

و في مسألة الإيمان اندرج عليهم مذهب الجهمية في أن الإيمان هو معرفة الله و الإقرار به فقط. أضافوا إليه الإيمان برسوله و الإيمان بالإمام المعصوم.

من أصولهم أصل يتعرض له علماء الأصول في باب النسخ و هو البداء على الله و معنى البداء على الله أنه يبدو على الله حكم لم يكن بدا له من قبل فيغير به الحكم الآخر. و البداء على الله قدح في التوحيد قدح في صفات الله لأنه وصف الله بالجهل و عدم العلم أنه بدا لله أمر أو شيء لم يبدو له من قبل و هذه المسماة بعقيدة البداء على الله التي اشتهرت عن الرافضة. و للتحقيق فهو قول جماهيرهم لم يجمعوا عليها إذ ذكر أبو الحسن الأشعري في المقالات أن هناك من أنكر هذه العقيدة - عقيدة البداء على الله - أنه يبدو لله أمر لم يبدو له من قبل. فيلزم ذلك أن يكون الله جل و علا في وقت من الأوقات غير عالم. و تعلمون أن من اعتقاد أهل السنة - اعتقاد السلف - أن الله علم ما كان و ما يكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون.

الأدلة على علمه سبحانه بما كان و بما سيكون ظاهرة و لكن الدليل على علمه سبحانه بما لم يكن لو كان كيف يكون ففي قوله سبحانه و تعالى عن أهل النار أنهم يتمنون و يطلبون من ربهم أن يعيدهم إلى الدنيا ليعملوا صالحا قال الله جل و علا (**و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه**). رد أهل النار إلى الدنيا أمر لم يكن و لن يكون, علم الله بهذا الأمر الذي لم يكن و لن يكون لو كان كيف سيكون أنهم سيرجعون إلى غيرهم و إلى باطلهم (**و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه**).

من أصولهم أصل يتعلق بالإيمان بالبعث و هو عقيدة الطينة التي يتبرأ منها كثير من متأخريهم و قد فضحهم بها الشيخ عبد الستار التنسوي في رسالة له لطيفة أنصحكم بها تسمى "بطلان عقيدة الشيعة". ذكر في هذه الرسالة إحدى و عشرين عقيدة يكفر القوم بواحدة منها و أسندها من كتبهم العربية و الفارسية. و ممن أثار هذه العقيدة في كتبهم الشيخ الموفق

إحسان إلهي ظهر حيث له الكتابات الماتعة القوية في الرد عليهم إلى أن انتقموا منه فقتلوه قتلهم الله.

عقيدة الطينة معناه أن كل شر أصابهم أي أصاب الإمامية الروافض في الدنيا فإنه من جهة اختلاطهم بطينة أعدائهم من السنة. و لهذا يوم القيامة يرجع كل أصل إلى أصله فخبث الرافضة يرجع إلى أعدائهم و صلاح أعدائهم يرجع إليهم, فيكونون هم في الجنة وأعداؤهم و ينصون على أهل السنة خصوصا أنهم في النار.

هذه عقيدة الطينة و معناها أن الله لما خلق آدم أخذ طينة من أعلى الجنة و من أدناها و من أعلى النار و من أدناها ثم خلطها. ضغطها جميعا فخلق منها آدم فمن كان على مذهبهم إماما فهذا من أثر الطينة أعلى الجنة. و من كان من عوامهم فمن طينة أدنى الجنة فإذا أصاب أحدهم إمام من كبارهم أو من عوامهم مكر أو سيئة أو ذنب فبأثر طينة النار العليا أو السفلى. و إذا أصاب غيرهم مخالفينهم خير أو حق فإنه من أثر طينة الجنة التي اختلط فيها بعضها مع بعض. و يوم القيامة يرجع كل إلى أصله فيتحملون خير غيرهم يرجع إليهم و شرهم و ذنوبهم و سيئاتهم تكب على أعدائهم حتى يعذبوا بها في النار. و لهذا من أصولهم الشهيرة بغضهم العظيم و الشديد لأهل السنة, يبغضونهم بغضا عظيما, بغض دين لا بغض مصالح دنيويا و الشافعي رحمه الله يقول:

كل العداوات قد ترجم و دنتها...إلا مودة من عاداك في الدين

و من هذا البغض يظهر آثار, منها أذية أهل السنة إذا استطاعوا ذلك. فإذا استطاعوا أن يؤذوا أحدا من أهل السنة أذواه إما بالكلام أو بالفعل أو حتى بالدعاء و لهذا من أدعيتهم المشهورة: الله يجعل في قبرك عظم سني. لأنه إذا وجد في قبرك عظم سني تعذب به و هذا من آثار أذيتهم لأهل السنة و من آثار عقيدة الطينة. فمكرهم و كذبهم و احتيالهم و خداعهم على أهل السنة ظاهر و ما نجد الآن في العراق و في غير العراق شواهد على هذا الأمر.

من شعائرهم ترك الجُمع و الجماعات و ترك إقامة الجهاد في سبيل الله لأنه لا جماعة و لا جمعة إلا خلف الإمام المعصوم و لا إمام معصوم فلا تقام الجمعة و الجماعة و لا الجهاد.

كان منهم في السابق طائفة يسمون بالخشبية و الخشبية هؤلاء اتخذوا سيوفا من خشب يدفعون بها من يصلون عليهم لأنه لا يجوز عندهم القتال و الجهاد إلا خلف الإمام المعصوم. احتاجوا بعد ذلك إلى أن يدفعوا عنهم المحاربين. من عام (255) إلى هذا الزمان لا يوجد إمام معصوم فأتى مؤخروهم ببدعة سميت ببدعة ولاية الفقيه بأن يكون المرجع من مراجعهم يتولى عن الإمام حتى يظهر. و ولاية الفقيه لها آثار منها أخذ الأموال, أخذ الخمس. و عندهم الزكاة و عندهم خمس فالخمس مخصوص لهم - لآل البيت - ينفقونه في مصالحهم و هذه تكون تحت يد الإمام المعصوم أو من ينوب عنه حتى أتوا ببدعة الفقيه. إقامة الحروب إقامة الجمع و الجماعات بل نصوا - و على هذا جمهورهم - أنه إذا صلى أحدهم خلف غيرهم, و يعنون بغيرهم أهل السنة و الجماعة, أنه يصلي خلفهم و يعيد الصلاة, فإن صلاته خلفهم في المسجد من باب التقية لأنهم لا يرون الجمعة و لا الجماعات. و كان هذا شأنهم إلى عهد قريب, إلى قبل الثورة المعاصرة الآن, كانوا إذا أذن المؤذن في الحرمين تلاحظهم يخرجون من الحرمين يوسعون على الناس. ثم أتى إليهم إمامهم الخميني ببدعة أن يصلوا مع الناس ثم يعيدوا الصلاة لئلا يشونهم بذلك المسلمون و يعيهم على تركهم الجمعة. المؤذن يؤذن و هؤلاء يخرجون كالشياطين لأن الذي يهرب من الأذان هو الشيطان فإنه ثبت في الصحيح عن النبي ρ أنه قال: **إن المؤذن إذا أذن فر الشيطان و له ضراط حتى إذا فرغ أقبل فإذا أقام فر و له ضراط فإذا فرغ أقبل فأفسد على المرء صلاته.**¹

هؤلاء شابهوا الشياطين بفرارهم من المساجد و من الجمع و الجماعات في إقامة الصلوات. هذا طرف و إماعة يسيرة في نشأة الروافض في فرقها و أصولها و طوائفها و إلا فإن المقام يضيق في الحقيقة عن تعداد كثير من شعائرهم و من خصالهم. و أعيد و أكرر أهمية كتاب "منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة و القدرية" لشيخ الإسلام ابن تيمية و هو و إن كان طويلا لكنه مهم لطالب العلم و سمعنا أنه لما خرج هذا الكتاب و انتشر شكلوا له لجان للرد عليه و الاعتراض عليه و لم يستطيعوا لأن الله فتح على هذا العالم من علم المعقول و علم المنقول ما فضح به مراميمهم و مقاصدهم. و كتاب عبد الستار التنسوي العالم الباكستاني المشهور الحنفي كتاب جيد, الرسالة الصغيرة " بطلان عقائد الشيعة" رسالة جميلة

¹ أخرجه البخاري في كتاب الأذان باب فضل التأذين برقم (608)

و مائة و من أجل ما كتب على اختصارها. رسالة الشيخ محب الدين الخطيب " الخطوط العريضة" أيضا جيدة كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير فضحتهم في الحقيقة فضحا عظيما مؤصلا في كتبهم. رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الرد على الرافضة هي مختصرة اختصارا كبيرا من كتاب منهاج السنة.

فائدة من أجوبة الشيخ عن الأسئلة:

شيخ الإسلام رحمه الله له في الرافضة مذهب بديع قال: إن مذهب الروافض مذهب كافر لكن هذا من حيث العموم أما عوام الروافض فالشيخ يعدهم من عوام المبتدعة و قد قال ذلك في "منهاج السنة" و في غيرها. و أما عوام الروافض في زماننا فحكمهم حكم المبتدعة لأنهم في الغالب جهال مقلدون لغيرهم و ليس عندهم ملكة التي يميزون بها: امرأة في بيتها, عامل في مزرعته في نخله. عامل في مصنعه, جاهل, ورث هذا عن أبيه و عن جده فحكمه حكم عوام المبتدعة الذين يكفر من يصدر منهم الكفر و تقام عليهم فيه الحجة إما شرك إما اعتقاد أن القرآن محرف إما اعتقاد عصمة الأئمة¹ إما سب الصحابة على ما مر بيانه و تفصيله.

سؤال آخر في تكفير من يدعو غير الله:

دعاء غير الله كفر أكبر و شرك أكبر لأنه صرف حق الله جل و علا لغيره. فلان بعينه الذي فعل هذا الفعل فعله كفر أكبر لكن بعينه الحكم عليه هذا مرده للعلماء و مرده للقضاة الشرعيين. هم الذين يحكمون على عينه قد يكون عنده مانع لأنه يأتي أحيانا من صاحب الذنب كفرا يأتي منه كفر لا يكفر هو بعينه. الشيخ محمد ابن عبد الوهاب يقول: و إن كنا لا نكفر عين من يعبد الصنم الذي عند قبر عبد القادر و عند قبر البدوي لعدم من يعلمهم فكيف بغيرهم. و لهذا هناك جهتان الحكم على الفعل بأنه كفر أكبر مخرج من الملة و الحكم على عين الفاعل بأنه فعل كفرا أكبر يخرج من الملة. الشيخ رحمه الله يقول: لا نكفر عين من يعبد الصنم الذي عند عبد القادر و لا عند البدوي لعدم من يعلمهم أي لمانع الجهل

¹ في الشريط "الأنبياء"

الذي فيهم و هذا الذي أنصح به الطلبة أن يفرقوا بين تكفير المعينين و بين الحكم على الأفعال بأنها كفر.

الدرس الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله نحمده و نستعينه و نستغفره و نعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادي له و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن نبينا محمدا عبده و رسوله عبده المصطفى و نبيه المجتبي فالعبد لا يعبد كما الرسول لا يكذب. اللهم صل و سلم عليه و على آله و أصحابه و من سار على نهجه و اقتفى أثرهم و أحبهم و ذب عنهم إلى يوم الدين, و سلم تسليما كثيرا.

ندخل في هذه الليلة في ثالث المذاهب من أصولهم, و أصول المذاهب خمسة كما سبق: الخوارج و الروافض و القدرية المعتزلة و الجهمية المرجئة و الصوفية. هذه أصول الفرق التي خالفت جماعة المسلمين و منهاج سيد المرسلين ρ . و نرجو أننا في هذه الليالي نكمل ما يتعلق بالمعتزلة ثم بالمرجئة الجهمية ثم بالصوفية على سبيل الإجمال و ذكر المعاهد و الأصول.

المعتزلة

المعتزلة هي ثالث الفرق من حيث النشأة لأن الخوارج نشأ أولها في عهد النبي في أخريات حياته ثم ظهرت في عهد عثمان حيث قتل عثمان ثم استمر شأنها. الروافض ظهرها ردة فعل للخوارج في عهد علي رضي الله عنه.

سبب تسميتهم

المعتزلة نشأت في البصرة، في أواخر عهد الصحابة في آخر المائة الأول و أول المائة الثانية. و نشأة المعتزلة - على الأرجح - لما دخل رجل جامع البصرة و إذا فيه الحسن البصري يحدث أصحابه، و من جلسائه واصل بن عطاء بن غزال و عمرو بن عبيد. و كان الناس يخوضون في ماذا؟ خاضوا أولا في المتقاتلين من الصحابة في الجمل و صفين فأرجؤوهم ثم خاضوا بعد ذلك في صاحب الذنب أ مؤمن هو أو كافر؟ و هو من آثار مذهب الخوارج. فسأل ذلك الرجل الحسن البصري فتناول واصل بن عطاء و قال: أنا أقول إن صاحب الذنب ليس بمسلم و لا بكافر بل في منزلة بين منزلتين: خرج من الإسلام و لم يدخل الكفر.

جعله في منزلة بين المنزلتين - هذا حكمه في الدنيا - و في الآخرة هو كافر مخلد في النار. فاعتزلا بذلك قول جماعة المسلمين و اعتزلا حلقة الحسن في ناحية من المسجد فاجتمع إليهما من ذوي الأهواء من أشكاهما. و قيل إن الحسن البصري قال لو اصل و لعمرو اعتزلانا فطردهما من الحلقة فسموا معتزلة.

هذا أشهر الأقوال في هذه التسمية و هي التي عليها عامة المؤرخين للفرق و للمقالات. فسموا معتزلة لاعتزالهم المسلمين في قولهم و اعتزالهم حلقة الحسن البصري إمام زمانه و إمام البصرة.

واصل بن عطاء هذا ولد سنة (80) من الهجرة و مات في سنة (131). عمرو بن عبيد كان أضلع منه في العلم بل كان من رواة الأحاديث، و كان في عمره إذ ولد في سنة (80) أيضا لكن وفاته تأخر إلى سنة (144).

عمرو بن عبيد هذا ألف عنه الحافظ الدارقطني جزءا في أخباره و ما يحكى عنه و في أقوال العلماء فيه. و خلاصة حاله أنه رجل متروك الحديث و الرواية عنه لأنه كان يكذب و أكثر ما كذب على سيخه الحسن البصري.

لاحظوا أن أصل افتراق هذه الفرقة ناشئ من سوء أدب لما تناول أولئك القوم على شيخهم في أصل من أصول الدين فأفضى بهم ذلك إلى أن يعجبوا بآرائهم و يعجبوا بقولهم، فأدى ذلك إلى أن افترقوا فرقة عظيمة أورثت شرخا كبيرا في تاريخ المسلمين و في جماعتهم.

حاول المتأخرون من المعتزلة أن يلفطوا وصف الاعتزال حتى قال قاضيهم- القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي صاحب الأصول الخمسة و شرح الأصول الخمسة و له كتابه الكبير المغني في أبواب العدل و التوحيد و يبلغ خمسة عشر مجلدا - قال: إن المعتزلة سموا بهذا الاسم و وصفوا بهذا الوصف لأنهم اعتزلوا الباطل. و قالوا لم يأت في القرآن لفظ الاعتزال إلا على سبيل المدح. هكذا قال القاضي عبد الجبار: و هم اعتزلوا الباطل. يريد أن يبرر لمنهجه و استدل بما جاء في أصحاب الكهف, مدحهم الله جل و علا بأنهم اعتزلوا قومهم و ما يعبدون من دون الله. أيضا (و أعتزلكم و ما تعبدون من دون الله) فهذا اعتزال من إبراهيم لهؤلاء المشركين. أيضا (فلما اعتزلهم و ما يعبدون) فجاءت في لفظ اعتزالهم الذي هو اعتزال باطلهم.

و قوله فاسد و غير صحيح, فقد جاء في القرآن لفظ الاعتزال على غير ما أراده في آية الدخان في قول الله تعالى (فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون)¹. فليس فيها اعتزال الباطل بل اعتزال الحق: (إن لم تؤمنوا لي) و ما بعثني الله به و ما أرسلت به فاعتزلون, إذن انخرم أصله الذي دل على جهله بكلام الله لما جاءت آية الدخان في الدلالة على أن الاعتزال يأتي لاعتزال الحق إلى الباطل أي ما عكس ما أراده هذا المعتزلي.

أصول المعتزلة الخمسة

سأرجى الكلام على تأريخهم و افتراقهم بعد ذكر أصولهم الخمسة التي اجتمعوا عليها. فإن المعتزلة لهم أصول خمسة اجتمعوا عليها هي في أسمائها براقعة و تسحر من لا علم له و لا يعرف حقيقة قولهم. فيظنها حقا:

شبه تهافت كالزجاج تخالها ... حقا وكل كاسر مكسور

أصول المعتزلة الخمسة التي اجتمعوا عليها:

- الأصل الأول التوحيد.

انظروا عظمة هذا الاسم و جلالته, إذا سمعه المؤمن عظمه, لكنهم درجوا تحت التوحيد أصلا باطلا. التوحيد عند المسلمين ما هو؟ هو توحيد الله بربوبيته و توحيدته بإفراده بالعبادة و هو

¹ بتصرف يسير

الألوهية، توحيدده بإيمانه بأسمائه و صفاته، لكن التوحيد عند المعتزلة هو نفي الصفات و هذا عند عامتهم، و عند كبرائهم و غلاتهم نفي الأسماء و الصفات.

أما الصفات فينفونها جميعا و عندهم فيها شبهة ذكرها شيخ الإسلام في كتابه التدمرية. أما فيما يتعلق بالأسماء فعامتهم يقولون إن لله أسماء حسنى هي أعلام مترادفة. فالعليم و الحكيم و السميع و البصير كلها أعلام محضة مترادفة لا تدل على صفة. فليس العليم له علم و ليس السميع له سمع و إنما أعلام محضة أي لا معنى تحتها. و غلاتهم أنكروا حتى أسماء الله جل و علا هذا أصلهم الأول المسمى بالتوحيد.

أدرجوا تحت هذا الأصل قولهم الشهير أن القرآن كلام الله لكنه مخلوق، فنسبوه إلى الله نسبة أعيان لا نسبة معنى. فقالوا إنه مخلوق هذه البدعة... التي...¹ مضجع المسلمين في تأريخهم الأول فهي داخله تحت أصلهم التوحيد باعتقادهم أن الله لا يتكلم بكلام هو صفة من صفاته لأن أصلهم أن الله ليس له صفات.

- الأصل الثاني من أصولهم: العدل.

انظروا إلى عظمة هذا الاسم! كلنا يطلب العدل و يمدح بالعدل، لكن ما هو العدل عند المعتزلة؟

العدل عند المعتزلة هو إنكار القدر، و لهذا من أسمائهم التي يسمون بها القدرية لأنهم أنكروا أن الله له قدرة على أفعال العباد. بل قالوا إن العبد يخلق فعل نفسه و ليس لله قدرة على فعل العبد فسموا هذا عدلا. شبهتهم أنهم قالوا: كيف أن الله يقدر عليه الشر ثم يحاسبه عليه؟ فسموا إنكار القدر عدلا و جهلوا أن إنكار القدر هو طعن في الربوبية كلها، طعن في علم الله، طعن في خلقه سبحانه و تعالى.

- الأصل الثالث من أصولهم: المنزلة بين المنزلة.

و هو أن صاحب الذنب ليس بمؤمن و لا كافر، خرج من الإيمان و لم يدخل الكفر بل في الدنيا هو في مرحلة و برزخ بينهما و هو في الآخرة في النار كما سيأتي في أصلهم الرابع.

المنزلة بين المنزلتين تتعلق بصاحب الذنب. و هاهنا فائدة ينتبه لها: الخوارج و المعتزلة لا يفرقون بين صغيرة و كبيرة، التفريق بين الصغائر و الكبائر عند المسلمين عند أهل السنة. أما

¹ كلمة غير مسموعة

عند الخوارج و عند المعتزلة فلا تفريق بين الكبيرة و الصغيرة و لهذا يسمون بالوعيدية لأن صاحب الذنب عندهم - ذنبا صغيرا أو كبيرا - فإنه في منزلة بين منزلتين. ما ذا يسمونه؟ اصطلاحوا عليه باسم خاص فقالوا يسمى بالفاسق الملي. و انتبهوا لهذا لأن الفاسق الملي عند المسلمين غير الفاسق الملي عند القدرية المعزلة. فالفاسق الملي عند المعتزلة القدرية هو من كان في منزلة بين المنزلتين أما الفاسق الملي عند المسلمين من هو؟ هو المؤمن الذي ارتكب ذنبا كبيرا أو صغيرا يسمى فاسقا مليا كما نبه على هذا الأصل شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الكبير العظيم الإيمان الكبير.

- أصل الرابع : إنفاذ الوعيد و يسمى عندهم بالوعد و الوعيد.

ما معنى إنفاذ الوعيد؟ أن الله جل و علا لا بد أن يعذب من توعدهم بالعذاب فصاحب الذنب خالد مخلد في النار يوم القيامة. صاحب الذنب الذي هو في الدنيا في منزلة بين المنزلتين أنه إذا مات خالد مخلد في النار و هذا أصلهم يسمى بإنفاذ الوعيد و يقال الوعد و الوعيد. ذا وسعنا دائرته أن الله وعد المطيعين بالجنة و وعد العصاة بالنار، فأهل الجنة فيها مخلدون و من دخل النار فهو مخلد لا يخرج منها. و بهذا سمي المعتزلة مخانيث الخوارج. من هو المخنث؟ المخنث عند العلماء غير المخنث عند العوام. المخنث عند العلماء كما في الفرائض و في كتاب النكاح و كتاب العتق. الخنثى من له عضوان: عضو ذكر عضو أنثى متى يكون هذا المخنث مشكلا؟ إذا كان يبول من جميع العضوين يسمى خنثى مشكلا. فإن كان يبول من واحد منها , إنسان له عضوان عضو ذكري و عضو أنثوي لكن يبول من أحدهما يسمى مخنثا و لا يسمى مشكلا. و هذا باب عظيم من أبواب المواريث, و إن كان نادرا الآن لأن الطيب قد تقدم و يقلب هذا الخنثى إما إلى ذكر أو إلى أنثى. و هذه تسمعون بها بين الحين و الأخرى أن فلانا ذكر قلب إلى أنثى أو أنثى قلبت إلى ذكر لأن لها العضوان ثم تعمل مع الهرمونات إلى أن غلب جانب هذا على هذا, جانب الذكورة على الأنثى أو الأنوثة على الذكورة.

أما الخنثى عند العوام, و لا سيما عند أهل الفسق و السفهاء, فهو الذي - و العياذ بالله - يفعل به فعل قوم لوط أو الذي يتلصص للصبيان أو الذي يتشبه بالنساء و قد جاء فيه

حديث: لعن الله المتخثين من الرجال.¹ أي المتشبهين بالنساء في حركاتهم في كلامهم في طباعهم إلى غير ذلك. لماذا قيل للمعتزلة إنهم مخانيث الخوارج؟ لأن الخوارج قالوا إن صاحب الذنب في الدنيا كافر و هو في الآخرة مخلد في النار. أما المعتزلة فخالقوهم فقالوا في الدنيا هو في منزلة بين المنزلتين لا مسلم و لا كافر و وافقوا الخوارج في حكمه الأخروي في إنفاذ الوعيد عليه فجعلوه مخلدا في النار.

- الأصل الخامس: و هو الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

انظروا إلى هذا المعنى العظيم, أصل عظيم, مسمى عظيم, لكنهم أدرجوا تحته معنى باطلا, ما هو؟ هو الخروج على ولاة الجور إن قدروا على ذلك. خروجهم على ولاة الجور, على أئمة المسلمين الذين فيهم ظلم و جور و معصية فإن المعتزلة تجوز الخروج عليه. هذا مذهبهم قديما و حديثا. في زمننا هذا من عرف بلوثة الاعتزال تجده من دعاة الخروج و نقض البيعة على إمامه المسلم. و قد وجدناه في بعض من يدعون الإصلاح, و لا إصلاح عنده, في خروجهم على جماعة المسلمين في هذا البلد, وجدنا أن عند كبيرهم لوثة الاعتزال قبل أن يصرح بما صرح به من الخروج على إمام المسلمين. إذن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر عندهم أنه الخروج على ولاة الجور إن قدروا على ذلك. إن كانت عندهم القدرة, و هم بذلك أضعف من الخوارج الذين يوجبون الخروج عندهم قدرة أو ما عندهم قدرة.

فبهذه الأصول الثلاثة إنفاذ الوعيد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و المنزلة بين المنزلتين قرب مذهب المعتزلة من الخوارج و لهذا يطلق عليهما جميعا بالوعيدية. فإذا قيل لك من هم

الوعيدية؟ فقل الخوارج و المعتزلة كما قال شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية:

فصل و أهل السنة وسط في أسماء الله تعالى و صفاته بين المعطلة و بين المشبهة, و هم وسط في أسماء الأحكام و الدين بين الوعيدية من الخوارج و المعتزلة و بين المرجئة. هذه أصول المعتزلة الخمسة.

أسماء المعتزلة

¹ أخرجه البخاري في كتاب الحدود باب نفي أهل المعاصي و المتخثين برقم (6834)

أسمائهم: المعتزلة, و يسمون بالقدرية, لماذا سموا قدرية ؟ لإنكارهم القدر و أعود على هذا الأصل مرة ثانية, فإن اسم القدرية يطلق على فرقتين عظيمتين: على المعتزلة فيسمون بالقدرية لأنهم ينفون قدرة الله على أفعال العباد و يطلق القدرية على الجهمية الجبرية الذين غلوا في إثبات القدر حتى سلبوا العبد أنه لا قدرة له و لا إرادة.

إذن القدرية تطلق على الجهمية - الغلاة في إثبات القدر و هم الجبرية - و تطلق على نفاة القدر و هم المعتزلة.

المعتزلة في نفي القدر في أصل العدل صنفان: جمهورهم و عامتهم - كما ذكر ذلك شيخ الإسلام - ينكرون مرتبتين من مراتب القدر, ما هما؟ مرتبة المشيئة و الإرادة و مرتبة الخلق. لأن القدر له أربعة مراتب. مراتب القدر عند أهل السنة, عند المسلمين أربعة. المرتبة الأولى علم الله السابق بكل شيء قبل وقوعه. المرتبة الثانية كتابته لكل شيء مقدر في اللوح المحفوظ. دل عليهما قول الله تعالى في آية سورة الحج (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء و الأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير) الأصل الثالث الإرادة و المشيئة: أن كل شيء مقدر فقد شاءه الله و أراد (و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله).

الأصل الرابع الخلق: أن كل شيء مقدر فالله خلقه. قال الله جل و علا (و الله خلقكم و ما تعملون) في صحيح مسلم: إن الله خالق كل صانع و صنعته.¹

المعتزلة عامتهم أنكروا المرتبة الثالثة و الرابعة, غلاتهم أنكروا جميع المراتب و هي مرتبة العلم و الكتابة و المشيئة و الخلق.

و لهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله: "ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا...". إن أقروا أن الله يعلم كل شيء خصموا و بطل مذهبهم "...و إن أنكروه كفروا" بإنكارهم علم الله جل و علا المحيط بكل شيء.

معتزلة البصرة و فرقهم

¹ لم أجده في صحيح مسلم, و هو في المستدرک في کتاب الإيمان (85).

ثمة مسألة أحب أن أقف عندها و أرجئ ما يتعلق ببقية المعتزلة في الدرس القادم, و هو أن المعتزلة في فرقهم يقسمهم العلماء إلى فرقتين بحسب تأريخهم:

- معتزلة البصرة و هم أول من خرج من المعتزلة و اشتهر عندهم الأصول الخمسة لكن أشهر أصل عندهم هو أصل المنزلة بين المنزلتين و الأصل الثاني إنكار القدر.

مر عليكم في حديث جبريل المخرج في صحيح مسلم أنه قال حميد بن عبد الرحمن: انطلقت أنا و يحيى بن يعمر إلى المدينة قلنا: لعلنا أن نلقى أحدا من أصحاب النبي ﷺ فلقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فاكتنفته أنا و صاحبي (هذا عن يمينه و هذا عن يساره) فظننت أن صاحبي يكلم الكلام إلي فقلت: يا صاحب رسول الله, يا أبا عبد الرحمن إنه ظهر قبلنا في البصرة قوم يقولون إن الأمر أنف و إنه لا قدر.

ابن عمر توفي سنة بضع و سبعين قيل ثنتين و قيل ثلاث و قيل أربع. لاحظوا تقدم هذا المذهب الرديء.

قال إنه ظهر قبلنا قوم (أي في البصرة) يقولون إنه لا قدر و إن الأمر أنف.

يعني مستأنف لم يسبق به علم و لا كتابة و لا خلق و لا مشيئة, و هؤلاء هم غلاة القدرية غلاة المعتزلة. و هكذا المذهب يتركب من عدة أفكار و أقوال و اعتقادات إلى أن يتبوأ أصولا عاما. القول بالقدر سابق على القول بالمنزلة بين المنزلتين لكن هؤلاء واصل و عمرو بن عبيد و من تبعهما تقمصوا قول هؤلاء الغلاة من القدرية.

و إنه ظهر قبلنا قوم يقولون إنه لا قدر و إن الأمر أنف. فقال ابن عمر رضي الله عنهما:

لئن رجعتم إليهم فأخبروهم أي منهم بريء و هم مني براء فقد سمعت أبي يقول: **بينما نحن**

جلوس عند النبي ﷺ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب... الحديث الذي فيه ذكر

الإسلام ثم الإيمان ثم الإحسان ثم أشرط الساعة.¹

ما زال يتطور المذهب في البصرة. و أشهر فرق البصرة ثلاث فرق:

- الفرقة الأولى الغيلانية: أشهر معتزلة البصرة و هم أتباع غيلان الدمشقي الذي أنكر القدر

و قال بالإرجاء. لاحظوا أتى بضم مذهب المعتزلة لأن المذهب لم يتشكل بعد بتشكلته

الأخيرة فكان في أوله خليط من عدة أهواء و بدع. كان غيلان الدمشقي يقول بالإرجاء و

¹ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة برقم (8)

يقول بالقدر أي ينفي القدر و قد أفتى علماء المسلمين في زمنه و لا سيما أبو عمرو الأوزاعي رحمه الله، أفتى بقتله في عهد الأمير عبد الملك بن مروان فقتله هشام ابن عبد الملك، قتل غيلان الدمشقي. فرقته تسمى بالغيلانية قد تمر عليكم في كتب الفرق و المقالات.

- الفرقة الثانية الواصلية أتباع واصل بن عطاء الغزال.

- و الفرقة الثالثة العمرية أو العمروية أتباع عمرو بن عبيد.

عمرو بن عبيد قال بأصول المعتزلة الخمسة لكنه زاد عليهم أصلاً أنه رد شهادة طلحة و الزبير بن العوام رضي الله عنهما، رد شهادتهما بدعوى أنهما فاسقان. و عمرو بن عبيد هذا كانت عليه سيمة ديانة و الاستقامة. و لا يغتر الإنسان بصلاح الإنسان الظاهر حتى يوافقه و يحققه صلاح الباطن بصلاح المعتقد و سلامة المنهج و الطريق. كثرة العبادة و التبتل ليست هي علامة على صلاح الإنسان حتى يكون على سنة النبي ρ منهجه و طريقته.

عمر و بن عبيد كان مشهورا بالديانة لكن ديانتهم في الحقيقة على غير الملة و على غير سنة النبي ρ كما ذكر طرفا من ذلك الحافظ أبو الحسن الدارقطني في كتابه أخبار عمرو بن عبيد. يميز معتزلة البصرة أنهم أدين من معتزلة بغداد إذ المشهور في معتزلة بغداد أو معتزلة البغدادة أنهم أهل تحلل و فسق و فجور و شرب خمور و تعاطي الحرام، لكن معتزلة البصرة كانوا أدين.

أرجى الكلام على معتزلة بغداد إن شاء الله في الدرس القادم لكن أختتم بهذه الطريفة التي غلب فيها عرابي على الفطرة أمة عمرو بن عبيد.

قالوا إن أعرابيا جاء من جهة نجد فدخل البصرة فسرق ناقته، و ناقته هي سيارته لا يستطيع أن يرجع إلى أهله إلا بها، فطلبها و بحث عنها فلم يجدها. فلما انقطعت حيلته دخل جامع البصر و إذا فيه هذا الشيخ ذا الحية عظيمة و يدرس الناس يعلمهم و هو عمرو ابن عبيد هذا الخبيث. و هو عمرو بن عبيد النميري، هل هو من نمير أصلاً أو ولاء، الله أعلم. و نمير قبيلة من قبائل العرب و لهذا قال الفرزدق هاجيا الراعي النميري

إذا غضبت عليك بنو تميم ... حسبت الناس كلهم غضابا

فغض الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا¹

وجد هذا الرجل ذا لحية كثة و حوله طلبة في جامع البصرة في المائة الثانية لأن عمرو بن عبيد توفي في سنة (144). فذهب إليه يرجو أن يكون سببا في رد ناقته إليه. فقال: يا شيخ إن ناقتي سرقت فادع الله أن يردها علي. لأن التوسل إلى الله بدعاء الصالح الحي مشروع و جائز. أحسن الأعرابي ظنا في هذا المعتزلي القدري عمرو بن عبيد فرجع عمرو بن عبيد يديه و قال: اللهم إنك لم ترد (انظر إلى هذا الدعاء الناشئ من عقيدته في نفي القدر) اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرت, اللهم فارددها عليه قال له الأعرابي مه! اسكت! صه! بماذا انتقد الأعرابي بفطرته على هذا المعتزلي القدري بعقيدته الباطلة؟ قال: يا هذا إذا كان ربي لم يرد أن تسرق ناقتي فسرت أخشى أن يريد أن ترد علي فلا ترد إذا كان يقع في ملكه ما لا يريد. فغلب الأعرابي بفطرته السليمة الموافقة لمذهب المسلمين مذهب السنة غلب هذا العالم البدعي القدري المعتزلي ببدعته.

قال: إذا كان ربي لم يرد أن تسرق ناقتي فسرت أخشى أن يريد أن ترد علي ثم لا ترد علي لأنه يقع في ملكه ما لا يقدره و لا يريد.² و هذا هو عين العجز و عين الضعف الذي ينزه عنه جناب الربوبية...

الدرس السادس

ذكرنا معتزلة البصرة و أفيدكم أن معتزلة البصرة سيمة الديانة ظاهرة عليهم في مظاهرهم و في عباداتهم و لهذا لم يعرف عنهم التحلل و إنما عرف عنهم أصول البدع و اتباع الهواء في باب الديانة.

¹ في تأريخ الإسلام أن البيت لجرير و الراعي لقب بالراعي لكثرة وصفه للإبل في نظمه

² أخرج هذه القصة ابن بطة في الإبانة كتاب القدر (280/2) الباب الأول باب جامع في القدر وما روي في أهله برقم (1914)

معتزلة بغداد و فرقيهم

تطور مذهب الاعتزال و دخل فيه من دخل من أهل الأهواء و البدع و تلاقح مع المذاهب الأخرى مع غلاة الروافض و هم الباطنية مع الفلاسفة مع المتكلمين و إن كان المعتزلة هم سداة المتكلمين حتى جاءنا معتزلة بغداد. و يسمون بالمعتزلة البغاددة نسبة إلى بغداد لأن بغداد كانت عاصمة الدولة العباسية. أيهما أسبق البصرة أم بغداد؟

البصرة أسبق من بغداد فإن البصرة أول من مصرها عمر بن الخطاب رضي الله عنه, لقد مصرت البصرة و الكوفة في عهده. و بغداد أول من بناها المأمون في سنة (140) و فرغ من بنائها سنة (184).

معتزلة بغداد اجتمعوا فيها لأنه كانت لهم حظوة عند بطانة بعض الخلفاء و كان لهم حظوة مشهودة عند المأمون ثم إخوانه من بعده إلى أن أطفأ الله نارهم و أبطل مكانتهم لما تولى الخلافة المتوكل رحمه الله الذي أعز أهل السنة و كبت أعداءهم.

معتزلة بغداد أقرروا بالأصول الخمسة التي عند المعتزلة لكنهم تفاوتوا في الزيادة عليها. أذكر لكم على سبيل الإجمال أشهر فرق المعتزلة البغاددة.

منهم فرقة النظامية أتباع إبراهيم بن سيار النظام. و إبراهيم بن سيار النظام من متقدمة معتزلة بغداد. قال بهذه الأصول الخمسة و زادها أن رد الإجماع فلم يعتبر به. و هذه سوءة إلى سيئاته و ضلال إلى ضلالاته. و رد أيضا الاستدلال بالخبر الواحد بأنه لا يفيد علما و لا يقينا, و هو من متقدمي من ردوا أخبار الآحاد الذي أضحى شعارا لعامة المتكلمين على مختلف مشاربهم, سواء كانوا جهمية أو معتزلة أو فلاسفة أو أشاعرة أو ماتردية فإنهم يجتمعون على رد خبر الواحد فلا يعول عليه في باب العقيدة. من أول من قال ذلك إبراهيم بن سيار النظام و فرقته تسمى بالنظامية نسبة إليه.

و كان هؤلاء - أعني رؤوس الفرق - المنتسبة إليهم في بغداد كالنظامية و من يأتي بعدهم الهذيلية أو الثمامية أو الجاحظية, كانوا أهل جدل و نظار و كلام و قيل و قال حتى عرفوا بذلك فتبعهم من تبعهم من أصحابهم و طلابهم.

من معتزلة بغداد الهذيلية أتباع أبي الهذيل محمد بن هذيل العلاف المولود في سنة (131) و المتوفى في سنة (235) فقد كان معاصرا للإمام أحمد بن حنبل الذي توفي في سنة (241). فكان أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف عصري الإمام أحمد. فقال بهذه الأصول الخمسة و زاد عليها بأن خالقية الله - صفة الخلق له - تنتهي إلى حد. عند عامة المسلمين أن هذه الصفة غير منتهية لله إلى حد لكن عند أبي الهذيل أنها منتهية إلى حد. و أنا أذكر لكم هذه المسائل التي هي فوارق بين فرق المعتزلة بعضهم مع بعض و إلا فالجميع متفقون على هذه الأصول الخمسة. و ذكر أبو الحسن الأشعري أنهم ربما اختلفوا في فهم و تفسير بعض هذه أفراد هذه الأصول الخمسة.

من معتزلة بغداد الثمامية أتباع ثمامة بن أشرس النميري المتوفى في سنة (213).

من معتزلة بغداد الجاحظية أتباع الجاحظ الأديب المشهور: عمرو بن بحر الجاحظ. من كتبه "التبيين" و من كتبه "البخلاء" و من كتبه "الرسائل" فهو أديب مشهور لكنه معتزلي كبير. و فرقته معروفة في أتباعه. و سمي بالجاحظ لبحوظ عينيه بدمامة واضحة و يذكر في هذا قصص. يقال إنه مرة كان جالسا عند باب بيته فجاءت امرأة و هي تمشي, و كان يستتبع بنظره النساء فقالت له المرأة: اتبعني. فتبعها لأنه يريد سوءا, فمرت به بالسوق إلى أن مرت على صائغ. فلما مرت بهذا الصائغ أشارت إليه فقالت: مثل هذا. ثم مضت المرأة. فوقف الجاحظ عنده و قال: ما تريد هذه المرأة. فقال: إنها جاءت إلي و قالت: أريد أن تنقش لي خاتما عليه صورة شيطان. فقال الصائغ: ما رأيت الشيطان. فقالت: المرأة اصبر حتى أذهب و آتيك. فأتت بهذا الرجل وقالت: اجعل صورة خاتمي على هذه الصورة. الحمد لله الذي أحسن خلقنا و خلقنا.

من فرق معتزلة بغداد الكعبية, أتباع أبي القاسم الكعبي المتوفى في سنة (319).

من معتزلة بغداد فرقة عظيمة تسمى بالجبائية و هي من أشهر الفرق و هي المنسوبة إلى أبي علي محمد بن معبد الوهاب الجبائي. و الجبائي نسبة إلى جبا مدينة من مدن فارس أو من مدن خراسان و قد توفي أبو علي الجبائي في (235). و الجبائي هذا نشأ عنده أبو الحسن الأشعري لأنه تزوج بأمه فوضع منه مذهب الاعتزال ثم نزع منه. و أبو علي الجبائي له ابن و

تنسب إليه فرقة مشهورة من فرق المعتزلة¹ و هي فرقة البهشمية نسبة إلى ابنه أبو هاشم عبد السلام بن محمد بن علي الجبائي و تسمى بالبهشمية.

و هذه البهشمية قالت بأصول المعتزلة الخمسة لكن زاد أبو هاشم ببدعة لا حقيقة لها تسمى بالحال, و لهذا قال العلماء: إن ثلاثة من المحال أحوال أبي هاشم و طفرة النظام أتباع فرقة النظامية إبراهيم بن سيار النظام و كسب الأشعري.²

ما هو الحال؟ قال بأن الأحوال لا معدومة و لا موجودة و لا معلومة و هذا القول في الحقيقة من المستحيلات. و لهذا قالوا ثلاثة لا معنى لها و منها أحوال أبي هاشم. أليس الحال معلومة؟ أليس حاله مرة ضحك و مرة ساكن و مرة متحرك. هذه أحوال سواء أحوال ظاهرة أو أحوال باطنة. و كذلك كل حال فهي معلومة أو غير معلومة لكن أن يقول أنها لا معلومة و لا موجودة و لا معدومة فهذا من المستحيل.

و مما قاله أيضا أبو هاشم أنه يجوز أن الله يعذب العبد من غير ذنب أصابه و هذا و العياد بالله يستلزم منه تجويز الظلم في حق الله تعالى.

من فرق المعتزلة في بغداد و هي الفرقة الثامنة, الخياطية أتباع أبي الحسين عبد الرحيم الخياط المتوفى في سنة (290). و الخياط هذا تلميذ للكعبي و تلميذ لأبي علي الجبائي.

من فرقهم أيضا الحسينية المنسوبون إلى أبي الحسين البصري المعتزلي المتوفى سنة (436) و هو مشهور في علم أصول الفقه. له كتاب شهير في علم الأصول يسمى "المعتمد في أصول الفقه" لأبي الحسين البصري المعتزلي و هو تلميذ للقاضي عبد الجبار الهمداني. هذه هي أشهر فرق معتزلة بغداد.

استوقفني قول للفخر الرازي و هو من أرباب المقالات العالمين بها. و الفخر الرازي عاش في القرن السادس, فخر الدين الرازي صاحب التفسير و الكتب المؤلفة في أصول الفقه و

¹ انظر ترجمته في البداية و النهاية 75/15

² ممن ذكر هذا شيخ الإسلام في منهاج السنة 1\459 و ذكر بيتا في ذلك :

مما يقال لا حقيقة تحته.... معقولة تدنو إلى الأفهام

الكسب عند الأشعري و الحال عند البهشمي و طفرة النظام

أصول الدين صاحب المحصول في أصول الفقه و الكتب بالكثيرة في تنظيم مذهب الأشاعرة و تقريره للفلسفة.

يقول الرازي: و لم يبق في زماننا من سائر فرق المعتزلة إلا هاتان الفرقتان يعني البهشمية و الحسينية. هل كلامه هذا دقيق: الواقع أن كلامه مرجوح و لكن لعل مراده أنه لم تبق فرقة من فرق المعتزلة معروفة بشخصها و أعلامها و مدارسها إلا هاتين الفرقتين. و إلا معلوم أن المعتزلة فرقة تفرقت في فرق أخرى فالزيدية معتزلة و الإمامية الجعفرية الراضية معتزلة و الإباضية و بعض عقلائي زماننا هذا هم في الحقيقة معتزلة لأنهم من باعثي هذا المذهب و حامله و ناشريه.

أحب أن الفت إلى أمر مهم في ختام الكلام على المعتزلة, أن المعتزلة تلاحظون بعض من يسمون بالمفكرين أو بالعلماء أنهم يجلون المعتزلة و يشنون عليهم و على علمائهم كما في بعض المتخصصين في أقسام الفلسفة و أقسام علم الكلام و أقسام العقيدة و المنطق في بعض الجامعات. يشنون على المعتزلة و يجلونهم لأنهم أجلوا العقل البشري. إذن ثمة قاسم مشترك بين المعتزلة في القديم و بين العلمانيين و الحداثيين و الفلاسفة و أمثالهم و هو دعوى تقديم العقل و اعتباره حاكما على غيره من الدلائل. و لهذا عندهم العقل هو مصدر لتلقي الاعتقاد لتلقي اليقينيات و بنائها عليها و هو مصدر أيضا للاستدلال بل هو أعظم عندهم من الوحيين و من قرأ أو طالع كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية المسمى بدرء تعارض العقل و النقل عرف كيف يجل هؤلاء العقل إجلالا حتى جعلوه حاكما على النقل و على الوحي.

المسلمون لم يجعلوا العقل مصدرا من مصادر التلقي و إنما جعلوه مجالا للفهم و الاستنباط و الاستدلال أما التلقي فإنه عن الشيء المعصوم و هما الوحيان الشريفان الذان جاء بهما النبي ρ : كلام الله الذي لا يأتيه الباطل لا من بين يديه و لا من خلفه لأنه تنزيل من حكيم حميد, و سنة النبي ρ الصحيحة القولية و الفعلية و القريرية لأنها تبيان لهذا القرآن و هي الحكمة التي آتاها الله نبينا محمد ρ . فدور العقل هو في الفهم و الاستنباط و رد النظر إلى نظيره و الاستدلال على ذلك, أما أن يجعل مصدرا من مصادر التلقي فلا. نعم! الفطرة

مصدر من مصادر التلقي بشرط أن لا تخالف الوحي الصحيح و هي الفطرة السليمة. هذه
إلماعة موجزة و أرجو أن تكون قد أتت على أصول مذهب المعتزلة.¹

الجهمية

الفرقة الرابعة من أصول الفرق فرقة المرجئة و إذا ذكرنا المرجئة فلا بد أن يكون الكلام على
الجهمية أصالة كما سيأتي لأن الجهمية هي أم الإرجاء. التعطيل, هذه العقيدة, ذكرت لكم
قبل أن لها تمثيل يقرب معناها إلى أنفس و عقول طلاب العلم:
التعطيل شجرة أمها الجهمية و بنتها الكبرى: المعتزلة و بنتها الصغرى و ربما لو قلنا التوأمين
الأشاعرة و الماتردية. هذا تقريب تمثيلي للتعطيل.

الإرجاء كذلك, أمه الجهمية. المرجئة هذه الفرقة العظيمة من فرق الإسلام و التي اختص
العلماء بالرد عليها أصالة فإن من طالع كتب علماء السنة وجددهم أعظم ما يردون على
المرجئة. انظروا للسنة للخلال المروي عن الإمام أحمد و السنة لعبد الله ابن الإمام أحمد و
غيرها من كتب السنة تلاحظون أنها مبدوءة بالرد على المرجئة و لا سيما في مسائل الإيمان,
لأن العلماء رحمهم الله فطنوا لهذا الخطر العظيم. حتى مسائل الصفات و القول بأن القرآن
مخلوق, جعلوها في المرتبة الثانية أو الثالثة بعد الرد عليهم في مسألة الإيمان و مسائل الإرجاء
و لهذا هي أضر المذاهب في أثرها.

سبب تسميتهم

¹ فائدة من أجوبة الشيخ عن الأسئلة: المعتزلة في باب الصحابة في الغالب أنهم معظمون للصحابة لكن
منهم من رد شهادة الزبير و طلحة رضي الله عنهما باتهامهم بالفسق كما قلنا عن العمروة و إلا في
الأصل فإنهم معظمون للصحابة. باب الصحابة تكاد أكثر الفرق المشهورة تتفق عليه المعتزلة و الأشاعرة
و الجهمية لكنهم يقلون في إجلال الصحابة من فرقة إلى أخرى. الزيدية لما تأثرت بالمعتزلة كان شأنهم في
الصحابة أقل من شأن عموم اللروافض

المرجئة لماذا سموها بهذا الاسم؟ العلماء لهم فيها عدة أقوال متنوعة في الحقيقة. قيل سموها بهذا الاسم لإرجائهم أمر المقاتلين في الجمل و الصنفين. و لهذا تجدون عند بعض كتب المقالات أو عند بعض العلماء أن أول من تكلم بالإرجاء هو الحسن بن محمد بن الحنفية. و هذا كما في كتاب الإيمان لأبي عمرو العدني السلفي المتوفى في القرن الثالث. و الإرجاء الذي عرف به ليس الإرجاء المذموم و إنما إرجاء ما حصل من أمر المقاتلين في الجمل و الصنفين إلى الله تعالى يوم القيامة.

من معاني الإرجاء و هو المعنى الثاني تأخير أهل الذنوب للآخرة, لا يتكلمون في أهل الذنوب من جهة الحكم عليهم و في أسمائهم و إنما يرجونهم للآخرة. من معاني الإرجاء أيضا تأخير الذنوب و أهلها بدعوى أنه لا يضر مع الإيمان ذنب. و هذا هو أشهر معاني الإرجاء المذموم الذي من نتاجه تأخير العمل عن الإيمان سواء عن مسمى الإيمان أو عن حقيقة الإيمان أو عن أثره أي أثر الإيمان. مسألة تأخير العمل عن مسمى الإيمان أو عن حقيقته أو عن أثره هو نتاج و هو جوهر مذهب المرجئة لأنهم قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب. و الذنب سواء كان قولاً أو فعلاً, لأن قول اللسان هو فعل اللسان هذا في الحقيقة هو أصل تسمية المرجئة بهذا الاسم. و من هؤلاء المرجئة من يسوغ مذهبهم بقوله تعالى (و آخرون مرجون لأمر الله إما يتوب عليهم أو يعذبهم) و ليسوا هؤلاء, فإن إرجاء صاحب الكبيرة أنه تحت مشيئة الله, إن شاء عذبه يوم القيامة و إن شاء رحمه بإيمانه و صلاحه هو قول عامة المسلمين.

أصناف المرجئة

المرجئة أصناف: المرجئة الخالصة أو المرجئة المحضة هم الجهمية, و اسمحوالي أن آخذ فيها بعض البسط لأن الكلام فيها له شأن.

الجهمية هي المرجئة الخالصة و هي المرجئة المحضة و هم أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي و كان من ترمذ و يكنى بأبي محرز. و الجهم بن صفوان آخذ مقالته عن رجل يقال له الجعد بن درهم. و أخذها أيضا عن رجل إما أنه نصراني اسمه سوسان أو مجوسي يقال له سيسويه¹. و

¹ في شرح اعتقاد أهل السنة و الجماعة اللالكائي الذي آخذ عن سوسن هو معبد الجهمي (1398)

أخذ عن اليهود وأخذ عن السمنية الذين هم فلاسفة الهند الذين لا يقرون إلا بالمحسوسة الموجودات. إذن مذهبه خليط و مركب من عدة هذه المذاهب. أخذ عن الجعد بن درهم و الجعد بن درهم أخذ عن بيان بن سمعان و هو من غلاة الرافضة الذي أخذ مذهبه عن طالوت اليهودي ابن أخت لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي P. و كان الجعد بن درهم يقول: إن الله لم يتخذ إبراهيم و لم يكلم موسى تكليما. إذن أساس مذهب نفي الصفات مستمد من اليهود الذين وصفوا الله بالقبائح و سلبوا عنه الكمائل و الممادح. فالجعد ألقى بهذا المذهب الخبيث إلى الجهم. الجعد قبض عليه, قبض عليه خالد ابن عبد الله القسري والي العراق في واسط و حكم العلماء بقتله فلما جاء في عيد الأضحى في سنة (123) قال في خطبته: ضحوا أيها الناس, تقبل الله ضحاياكم فإني مضح بالجعد بن درهم. و قد جيء به مربوطا في أصل المنبر. فإني مضح بالجعد بن درهم حيث زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا و لم يكلم موسى تكليما. ثم نزل من منبره فقتله, فشكر له أهل السنة صنيعة لأنه قتله بحكم العلماء. قال ابن القيم رحمه الله في مقدمة النونية في آخر المقطع الأول من مقدمتها لما ذكر التعطيل و ما جرّه على المسلمين من البلايا و الخزايا و الحن قال:

(و لأجل ذا) ذا إشارة إلى التعطيل الذي تكلم عليه لما قال في أول نونيته:

- 1 - حكم المحبة ثابت الأركان..... ما للصدود لفسخ ذاك يدان
 - 2- أنى و قاضي الحسن نفذ حكمها..... فلذا أقر بذلك الخصمان
 - 3- و أتت شهود الوصل تشهد أنه..... حقا جرى في مجلس الإحسان
- إلى أن قال:

27- و علت على الصفا فتيمنت..... دارا هنالك للمحب العاني

يتغزل رحمه الله بالعقيدة صورها على أنها محبوبته و عشيقته إلى أن قال:

39- إن كاذبة الذي حدثني..... فعليك إثم الكاذب الفتان

40- جهم بن صفوان و شيعته الألى..... جحدوا صفات الخالق المنان¹

إلى أن قال:

50- و لأجل ذا ضحي بجعد خالد ال..... قسري يوم ذبائح القرين

¹ المثبت من طبعة دار عالم الفوائد .

51- إذ قال: إبراهيم ليس خليله..... كلا و لا موسى الكليم الداني

52- شكر الضحية كل صاحب سنة.....لله درك من أخي قربان

العقلانيون و المعتزلة و المتكلمون يثيرون في هذا المقام شبهة. و أول من أثارها هؤلاء المتكلمون و تلقته عنهم المستشرقون و أذاعها عنهم أذناهم من المعاصرين.قالوا: إن خالد بن عبد الله القسري ما قتل الجعد إلا لغرض سياسي, لم يقتله لغرض ديني. يريدون أن يهون من شأن هذه البدعة النكراء و أنى له ذلك:

52- شكر الضحية كل صاحب سنة.....لله درك من أخي قربان

لأنه تقرب إلى الله جل و علا بقتل هذا الذي كفر بالله بجحد أسماءه و صفاته.

الجهم أخذ عن الجعد نفي الصفات, و أخذ عن سيسويه الجوسي و سوسن النصراني و كلاهما منحرفان في باب الألوهية و باب الأسماء و الصفات. و أخذ عن طائفة من السمنية. قالوا إنه ناظر طائفة من السمنية و هم فلاسفة من فلاسفة الهند لا تقرر إلا بالمحسوسات. قالوا: يا جهم ربك الذي تعبد رأيتك بعينك؟ أحسست به بيدك؟ سمعته بأذنك؟ شمته بأنفك؟ ذقت بلسانك؟ قال لا. لأنهم لا يؤمنون إلا بالمحسوسات الموجودة. فقالوا كيف تعبد ربا ما رأيتك و لا أحسست به و لا لمستك و لا و لا... .

فبقي الشقي في بيته أربعين ليلة يبحث عن ربه لا يصلي و لا يؤدي شيئا يبحث عن ربه بعقله. فخرج بعد الأربعين فقال: أنا أومن برب لا أسماء له و لا صفات. و لم يجعل له عز و جل صفة تخصه حتى الوجود. صفة الوجود قال إن الله موجود بشرط الإطلاق ليقى وجودا ذهنيا لا وجود حقيقيا. فكان بهذا من أجهل الناس بربه إذ جحد أسماءه و صفاته بل أخص صفاته و هي الوجود. هذا الجهم بن صفوان شقي قتل شيخه الجعد في سنة (123) و هو قتل في ترمذ في (128) قتله سلمة بن أحوذ والي خراسان. و نسب المذهب إلى الجهمية و لم ينسب إلى الجعدية لأن الجهم هو الذي بعثه و نشره و أذاعه فنسب المذهب إليه فقالوا مذهب الجهمية.

أصول الجهمية

مذهب الجهمية اختصارا له ثلاث أصول كبار:

- الأصل الأول في باب الأسماء و الصفات فهم ينكرون أسماء الله و صفاته, بل الجهم ينكر حتى صفة الوجود. فيقول إن الله موجود بشرط الإطلاق, لا وجود يخصه في خارج الذهن و هذا و العياذ بالله هو إنكار وجدود الله بل هو حقيقة الجهل بالله.

و هذا الذي عرفت به الجهمية في إنكار الأسماء و الصفات و لهذا قال العلماء: من قال إن القرآن مخلوق فهو جهمي. لأنه من نتاج مذهب الجهمية بل هو مما أثرت به الجهمية على المعتزلة فاشتركا فيه. الجهمية أثرت على المعتزلة في نفي الصفات فاشتركا فيه جميعا.

- مذهبهم الثاني في الإيمان فالجهمية عندهم أن الإيمان هو المعرفة. من عرف الله فهو مؤمن, إذن الكافر عند الجهمية هو من أنكر الله أو من جهل الله. ضابط الإيمان عند الجهمية هو المعرفة: من عرف الله فهو مؤمن إذن من جهله فهو كافر. و هذا هو غاية ما يكون من الضلال و الإلحاد في باب الإيمان. و هذا القول أفسد من أن يرد عليه لأنه يلزم عليه أن يكون أبو طالب مؤمنا, لأن أبا طالب يعرف الله و يعبده و يعرف صدق الرسول ألم يقل أبو طالب:

لقد علموا أن ابنتنا لا مكذب ... لدينا ولا يعني بقول الأباطل

...

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده في رحمة وفواضل

...

حليم رشيد عادل غير طائش ... يوالي إلهها ليس عنه بغافل
إذن هذا فيه اعتراف من أبي طالب بأن دين الرسول هو الدين الحق و أنه لا يكذب بل قال ما هو أصرح من ذلك:

و لقد علمت بأن دين محمد..... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة..... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

و لقد دعوتني و زعمت أنك ناصحي..... و لقد صدقت و كنت ثم أمينا

(و لقد دعوتني) يعني النبي ρ

يلزم على ذلك أن أبا طالب يكون مؤمنا و هذا من آثار مذهب الجهمية على غيرها من الفرق. فالرافضة ترى إيمان أبي طالب بعامه فرقها. الصوفية ترى إيمان أبي طالب, الأشاعرة في أكثرهم يرون إيمان أبي طالب و هذا من أثر الصوفية عليهم لعله أن يأتي بيانه إن شاء الله إذا تكلمنا عن الصوفية.

بل أعظم من ذلك (يلزم) أن فرعون يكون مؤمنا لأن فرعون يعرف ربه. قال الله جل و علا في آية النمل (و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا) أي برسالة موسى و ربوبية الله. قال الله جل و علا في آخر سورة الإسراء (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات و الأرض بصائر و إني لأظنك يا فرعون...).

بل أعظم من هذا مما يبين فساد هذا المذهب الرديء في معنى الإيمان أن يكون إبليس عند الجهمية مؤمنا لأن إبليس يعرف الله, أم يقل إبليس (فبعزتك لأغوينهم أجمعين)؟ إذن يكون على مذهبهم أن إبليس مؤمن و هل أكفر من إبليس أحد؟ لا أكفر منه أحد من خلق الله لأنه أبي و استكبر أن يطيع أمر الله جل و علا. إذن يكفيكم من هذا المذهب الرديء أن يكون إبليس عندهم مؤمنا لأنه يعرف ربه.¹

¹ قال ابن القيم في نونيته:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاتهم هو منتهى الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان
فاسأل أبا جهل وشيعته ومن ... ولاهم من عابدي الأوثان
وسل اليهود وكل أقلق مشرك ... عبد المسيح مقبل الصليبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم ... أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف ال ... خلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أعني أمة ... لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل ... فرعون مع قارون مع هارون
هل كان فيهم منكر للخالق الرب ... العظيم مكون الأكوان
فليشروا ما فيهم من كافر ... هم عند جهنم كاملو الإيمان

بل ذكر شيخ الإسلام هذا العلم الذي استوعب هذه المقالات وهضمها ثم كشف زيفها و زيف أهلها, قال: و لا أحد أكفر من جهم بربه فإنه أنكر أسماء الله و صفاته, و لم يجعل الله وجودا يخصه و إنما جعل الله موجودا بشرط الإطلاق و هذا ليس إلا في الذهن. إذن فهو جاهل بربه فيكون على مذهبه كافرا.

- الأصل الثالث من أصول الجهمية قولهم في القدر. فهم في القدر جبرية لأنهم غلو في إثبات القدر حتى سلبوا العبد قدرته و إرادته و اختياره. قالوا: العبد ما له قدرة و لا إرادة لا اختيار, هو في قدر الله كالريشة في مهب الريح كالبيت بين يدي مغسله, كورق الشجر إذا مر عليه الهواء يتحرك بغير إرادة, كذلك العبد. و هذا هو مذهب الجبرية و هم الجبرية حيث زعموا أن العبد مجبور على فعله أيا كان هذا الفعل, و هم لا يرضون بهذا القول. و حقيقة مذهب الجبرية هو مذهب المشركين في باب القضاء و القدر لأن المنحرفين في القدر ثلاثة أصناف قرهم شيخ الإسلام في التدمرية:

- الجوسية و هم القدرية المعتزلة الذين قالوا: إن العبد يخلق فعل نفسه, مثل الجوس, قالوا: إن الكون له خالقان, النور و الظلمة. فالنور تخلق الخير و الظلمة تخلق الشر. و في الحديث الذي يروى حديث ابن عمر و أنس و عبد الله بن عمرو و غيرهم رضي الله عنهم **يقول النبي ﷺ: القدرية مجوس هذه الأمة.**¹ و الحديث حسن بمجموع طرقه و شواهدده.

- الطائفة الثانية المشركية و هم الجبرية, لأن المشركين قالوا كما قال الله جل و علا في آخر الأنعام **(لو شاء الله ما أشركنا و لا آباؤنا و لا عبدنا دونه من شيء)** فحقيقة قول الجبرية هو قول المشركين.

- الفرقة الثالثة من المنحرفين في القدر هم الإبليسية الذين عارضوا بين حكمة الله و بين أمره, بين قضائه و بين شرعه كما قاله إبليس: كيف أسجد لهذا و أنا خير منه, لا أسجد له و أنا خير منه خلقتني من نار و خلقتة من طين.

إذن هذه الأصول الثلاثة التي انحرف فيها الجهمية. أصل الإيمان فقالوا إنه المعرفة و أصل الأسماء و الصفات فأنكروها و أصل القدر. و لهذا هؤلاء الجهمية لا يرضون بالاستدلال

¹ أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في القدر برقم (4691) من حديث ابن عمر و ابن ماجه في المقدمة باب في القدر من حديث جابر(92).

بالقدر على المعايير. لو جاء إنسان و ضرب الجهمي على وجهه يرضى و يقول هذا مجبور أو يدفعه؟ بدليل الفطرة السوية القويمة أنه يدفعه و لا يرضى أن يعتدي عليه بعذر أنه مجبور لا يؤاخذ على فعله.

فرق المرجئة

المرجئة لها فرقتان أخرى انخرقا في الإيمان أذكرها اختصارا لكلا نطيل. من فرق المرجئة فرقتان هما من فرق المعتزلة لكنهم وافقوا الجهمية في مذهبهم في الإيمان و هم فرقة الضارية أتباع ضرار بن عمرو الكوفي, و هو من متقدمي المعتزلة. و هذا ضرار بن عمرو الكوفي من تلاميذ واصل بن عطاء الغزال فهو معدود من معتزلة البصرة. وافق الجهمية في الإيمان فقال: إن الإيمان هو المعرفة. و زاد من بدعه أنه أنكر عذاب القبر الذي أضحى بعد ذلك مذهباً من مذاهب المعتزلة في إنكار عذاب القبر و نعيمه.

الفرقة الثانية التي وافقت الجهمية في أن الإيمان هو المعرفة و أن الكفر هو الجهل النجارية أتباع الحسين بن محمد النجار المعتزلي.

من فرق الإرجاء الأشاعرة المنسوبون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري. و قد مر أبو الحسن الأشعري بثلاثة أطوار: كان معتزلياً لما كان ريباً ناشئاً في حضن أبي علي الجبائي أربعين سنة حيث أنه زوج أمه. ثم نزع في جامع البصرة الاعتزال كما نزع ثوبه الذي كان عليه أو عباءته التي كانت عليه أمام الناس بعد صلاة الجمعة. فصار على طريقة عبد الله ابن كلاب يسمى بالمذهب الكلابي, الذي فيه نفي الصفات الاختيارية. ثم رجع رحمه الله قبل موته بثلاث سنوات أو أربع سنوات إلى طريقة أهل الحديث و مذهب السلف الصالح و ألف فيه كتابين "الإبانة عن أصول الديانة" و ألف فيه "المقالات" لأنه ذكر في المقالات لما جاء إلى ذكر أهل الحديث و أن إمامهم الإمام أحمد بن حنبل, قال: و إلى هذا المذهب أذهب و بهذا القول أقول.

لكن أكثر المنتسبين لأبي الحسن الأشعري من الأشاعرة هم في قوله الثاني لما كان على طريقة عبد الله بن سعيد بن كلاب و مذهبهم في الصفات أنهم يثبتون أسماء الله و سبعا من

صفاته, هي صفة العلم و الحياة و القدرة و الإرادة و السمع و البصر و الكلام. تسمى عندهم بالصفات العقلية أو صفات المعاني و سواها من الصفات يؤولونها أو يفوضونها. و يسمى بالصفات الاختيارية أو الفعلية يؤولونها أو يفوضونها و على هذا استقر مذهبهم عند عوام المتأخرين كما قاله صاحب الجوهرة إبراهيم اللاقاني:

فكل نص أوهم التشبيه..... أوله أو فوضه تنزيها

و مذهب الأشاعرة مر بخمسة أطوار:

الطور الأول طور الكلايية ثم الطور الثاني في جذبه إلى مذهب أصحاب أبي الحسن الأشعري. و كان عندهم التأويل خفيفا فالاستواء عندهم ليس هو الاستيلاء و إنما فعل يفعله الله بالعرش يسمى استواء, إلى أن جاء الطور الثالث حيث قرب أبو المعالي الجويني هذا المذهب من الاعتزال. أبو المعالي الجويني في كتاب "البرهان" في أصول الفقه و غيره قرب مذهب الأشاعرة إلى مذهب الاعتزال. ثم في الطور الرابع لما خلط هذا المذهب بالصوفية تم ذلك على يد علمين شهيرين هما أبو القاسم القشيري الأشعري و أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي توفي سنة (505) و هؤلاء جذب مذهب الأشاعرة و خلطوه بالتصوف فلا تكاد تجد صوفيا إلا و هو في الاعتقاد أشعري.

الطور الخامس في جذب المذهب إلى طريقة الفلاسفة و كان ذلك على يد جماعة من الأساطين كصفي الدين الأرموي و فخر الدين الرازي و أمثالهم.

الأشاعرة تعتبر من فرق المرجئة لأن مذهب المرجئة في الإيمان أن الإيمان هو التصديق و التصديق هو في القلب. و لهذا عامة الأشاعرة إذا أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر قالوا: خلونا يا جماعة إن الإيمان في القلب. و لو كان على معصية يشرب الدخان, يشرب الخمر يأكل الربا يفعل ما يفعل فإذا أمر بالمعروف و نهي عن المنكر قال: الإيمان هاهنا في القلب و في هذا يروى حديث باطل معلول " أن الإيمان في القلب و الكفر علانية." و الحديث الضعيف أيضا أنه لما جاء وفد ثقيف إلى النبي ρ فسألوه عن الإيمان قال: الإيمان هاهنا الإيمان هاهنا.

على كل حال عندهم الإيمان هو تصديق القلب. ما قسيم التصديق؟ هو التكذيب. فالكفر عند الأشاعرة هو التكذيب فكل من حصر الكفر في التكذيب فهو أشعري شاء أم أبي,

درى أو لم يدر, لأن حقيقة مذهب الأشاعرة في الإيمان أنه التصديق و يضده التكذيب إذن كفر عندهم تكذيب. و الجحود عندهم كفر أيضا لأن الجحود أعظم من مجرد التكذيب فهو تكذيب و زيادة إنكار و لهذا يدخل الجحود في الكفر عندهم.

فكل من حصر الإيمان بالتصديق و حصر الكفر بالتكذيب و الجحود فقوله قول هؤلاء المرجئة الأشاعرة درى أو لم يدر. و لهذا اشتد نكير العلماء من مشايخنا على من قال إن الكفر هو التكذيب فقط أو الجحود فقط لأن حقيقته هو قول الأشاعرة الذي هو عين قول إحدى فرق المرجئة.

الفرقة الخامسة الكرامية من فرق المرجئة. الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني المتوفى في سنة (255) و كان محمد بن كرام مضطربا في مذهبه يميل إلى الزهد و التصوف, قليل البضاعة في العلم لكنه مع ذلك كان مشبها لله ببعض خلقه. و الكرامية فرق و لهذا إذا أطلقت المشبهة أول من ينصرف إليها صنفان: متقدمو الرافضة فإنهم مشبهة كهشام ابن الحكم و هشام بن سالم **الجواليقي** و بيان بن سمعان و أيضا ينصرف التشبيه إلى الكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني.

مذهبه في الإيمان الذي جعله من فرق المرجئة أنه قال: الإيمان النطق باللسان فمن نطق بلسانه فهو مؤمن من غير اعتقاد و من غير عمل. فألزمه العلماء بأن المنافقين يكونون مؤمنين لأن المنافقين يقولون لا إله إلا الله. لكن الكرامية لم يجعلوا المنافقين في الآخرة في الجنة, بل ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الإيمان الكبير - و هذا من إنصافه رحمه الله لهم - قال: و من زعم أن الكرامية توجب أن يكون المنافقين في الجنة فقد غلط عليهم غلطا كبيرا. هم يقولون إن المنافقين في الآخرة في النار لكن في الدنيا مؤمنين بمجرد قولهم لا إله إلا الله. و هل هم مؤمنون لما قالوا لا إله إلا الله؟ الجواب لا, لأنهم أبطنوا ضد ذلك من الكفر و بغض الله و بغض الدين و بغض رسوله و لهذا نهى الله رسوله أن يصلي على أحد منهم مات أبدا أو يقوم على قبره في آية براءة (و لا تصل على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره) لماذا؟ (إنهم كفروا بالله)

الفرقة السادسة من فرق المرجئة الماتردية, أتباع أبي منصور محمد الماتريدي الحنفي. و الماتردية علاقتهم بالإرجاء لأن أبا منصور الماتريدي قال إن الإيمان هو الاعتقاد بالجنان و النطق

باللسان ركن زائد ليس بأصلي, بمعنى أنه لو لم يأت به لأضحى مؤمنا لكن المدار و المعول على الاعتقاد فقط. أما النطق باللسان فهذا ركن زائد فليس ركنا أصليا فأخرج العمل عن الإيمان و على هذا عامة الماتردية.

المذهب السابع من مذاهب المرجئة مرجئة الفقهاء المنسوبون إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي رحمه الله. و مذهبهم في الإيمان أن الإيمان قول باللسان و يقولون إقرار باللسان و تصديق بالجنان. فأخرجوا العمل عن الإيمان, لم يجعلوا العمل ركن من الإيمان هذا هو خطؤهم.

الإيمان عند أهل السنة يقوم على هذه الأصول الخمس: إقرار باللسان (قول لا إله إلا الله التسيحات التهليلات الأذان إيمان), و اعتقاد بالجنان بالقلب و لا بد من ذلك و عمل بالأركان, فلا يصح الإيمان إلا بعمل يزيد بطاعة الرحمن و ينقص بطاعة الشيطان. هذه أصول الإيمان عند أهل السنة و الجماعة.

مرجئة الفقهاء أخرجوا العمل عن الإيمان. هل أخرجوه عن مسمى أو عن غير مسماه هذا هو ميدان...¹ ؟ و لهذا يأتينا هذا السؤال الشهير: هل الخلاف بين أهل السنة و الجماعة بين مذهب السلف و مرجئة الفقهاء خلاف حقيقي مؤثر أو خلاف لفظي صوري؟ خلاصته في هذا الكلام:

الخلاف يكون حقيقيا في أحوال و يكون صوريا لفظيا في أحوال. فإن ترتب على الخلاف أن الإيمان لا يزيد و لا ينقص أو أن الإيمان لا يتبعض أو أنه لا يطالب بالعمل أو لا يرتب على العمل الثواب الدنيوي أو الأخروي أو أنه يحرم الاستثناء في الإيمان, فالخلاف عندئذ يكون خلافا حقيقيا مؤثرا. و هذا للأسف يقول به الماتردية الآن. يقولون الخلاف اللفظي و يجعلون الإيمان لا يزيد و لا ينقص لأن إيمان الخلق لا يزيد شيء واحد و أهله في أصله سواء. و يقولون أن من ترك العمل لا يعاقب عليه بالثواب و العقاب و غيره.

و أما إذا قال مرجئة الفقهاء بأن الإيمان يزيد و ينقص أو أن الإيمان يتبعض, يذهب بعضه و يبقى باقيه أو أن الإيمان يجوز الاستثناء فيه: يقول أنا مؤمن إن شاء الله, و رتبوا على ترك العمل الجزاءات الدنيوية بالعقاب و التعزيرات في الدنيا و الجزاءات الأخروية بالعقاب الإلهي

¹ كلمة غير مسموعة

فالخلاف حينئذ في حقيقته خلاف صوري لفظي. و لهذا ذكر شيخ الإسلام في الكيلانية و ذكر في شرح الأصفهانية و في الإيمان الكبير أن الخلاف مع مرجئة الفقهاء في أكثر صورهِ خلاف صوري لأن مرجئة الفقهاء المشهورين بالفقه منهم يرتبون الجزاءات الدنيوية و الأخروية على ترك العمل.

انظروا إلى كتب الفقه للحنفية لا سيما إلى كتاب الحدود و أحكام المرتد و ما بعدها تجدون أنهم من أشد المذاهب في هذا الأصل. فعندهم يكفر بقول يقوله و بعمل يعملهُ حتى إنهم اشتدوا فقالوا إن من صلى بغير وضوء عامداً أنه غير مؤمن لأن فعله هذا لا يصدر إلا من مستهزئ مستهتر. إذن كفروا بالعمل و لم يجعلوا العمل في مسمى الإيمان فباعبار هذا الأصل أصبح الخلاف و الحالة هذه لترتيبهم الجزاءات الدنيوية و الأخروية على ترك العمل خلافاً سورياً. و لهذا نقول لكم: ما هو الخطأ الذي وقع فيه مرجئة الفقهاء؟ وقعوا في خطأ و إن كان لفظياً و هو أنهم لم يدخلوا العمل في مسمى الإيمان و إن كانوا أدخلوه في حقيقته و ثمرته و أثره على هذا الاعتبار الذي قد قيدته لكم. أما إذا كان هذا الحنفي يقول إن الإيمان لا يزيد و لا ينقص أو لا يتبعض أو لا يصح الاستثناء فيه أو أنه لا يرتب العقوبات الأخروية و الدنيوية على ترك العمل فإلخلاف عندئذ خلاف حقيقي مؤثر و لا كرامة.

أختم بمسألة يكثر عنها السؤال: هل الأشاعرة من أهل السنة أو ليسوا من أهل السنة؟ و هذه المسألة لها أثر في اعتبارهم من أهل السنة و الجماعة أنهم داخلون فيها أو مع الفرق المتوقعة بالنار, لأن قوله ρ و ستفترق هذه الأمة على ثنتين و سبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا من هي يا رسول الله قال (هم الجماعة) و في رواية (هم السواد الأعظم) و في رواية من كان على مثل ما أنا عليه و أصحابي.¹

هل الأشاعرة هم داخلون في هذه الفرق أو مع الفرق موعودة بالنار و عيدا؟ لأن الفرق الموعودة بالنار ليست كلها مخلدين. و انتبهوا لهذا الأصل قد قرناه في أول الدروس. الوعيد بالنار يتفاوت منهم من هو متوعد بالنار على سبيل الخلود و هم من كفر و اعتقد كفرا و

¹ تقدم تحريجه.

بعث المذهب الكفري و مهنهم من هو متوعد بالنار لفسقهم و ضلالهم لا لكفرهم في أنفسهم.

هذا أثر هذه المسألة: فالأشاعرة ليسوا من أهل السنة و هي الفرقة الناجية و إن كان منهم صالحون و منهم عباد و منهم علماء و منهم حفاظ و منهم كبراء, لكن لأنه انتسب لهذا المذهب أو قال ببعض قوله يكون عندئذ مخطئاً لقوله بهذا القول. و قد يكون معذوراً لاجتهاده و تأويله كما هو الحال في العلماء و الحفاظ الذين نسبوا إلى الأشعرية كالنووي و الحافظ ابن حجر العسقلاني و السيوطي و غيرهم رحمهم الله. هم معذرون فيما أخطؤوا فيه, لكن الخطاء خطأ و لا يترتب على ذلك مذمتهم و لا معيبتهم و إنما يترتب عليه بيان الخطاء و لعل ذلك مغمور في كثرة حسناتهم, و إن كان السيوطي أقل شأنًا كثيرًا من النووي و من الحفاظ ابن حجر و من أمثالهما و أضرابهما. أما إذا ذكر أهل السنة في مقابل غيرهم كمقابل الرافضة أو ذكر أهل السنة في مقابل المعتزلة و الجهمية أو ذكر أهل السنة في مقابل الفلاسفة فيدخل فيهم الأشاعرة تبعاً, لا أنهم من أهل السنة لكن لأنهم يقولون بقول السنة في مقابل هؤلاء الفرق الكبار الضلال. يدخلون مع أهل السنة من باب التبع لأنهم يقولون في باب الصحابة بقول أهل السنة و يقولون في باب السمعيات وهي ما يتعلق بأمر الآخرة, عذاب القبر و نعيمه و البرزخ و الدار الآخرة غالب قولهم بقول أهل السنة. الخلاف مع أهل السنة في الصفات التي يؤولونها في مسألة القدر حيث يقولون بالكسب, الكسب الأشعري و هو الذي مما لا حقيقة له و الكسب عندهم وقوع القدر عند فعل المقدور لا أن القدر يقع بفعل المقدور و لكن يقع عنده. كما قالوا القطع يكون عند السكين لا بها, الري يقع عند شرب الماء لا به, الشع يكون عند أكل الطعام لا به و هذا هو الكسب الأشعري الذي لا حقيقة له. قالوا: ثلاثة لا حقيقة لها كسب الأشعري و طفرة النظام و أحوال أبي هاشم.

مسألة أخيرة, و هي أن العلماء - رحمهم الله - اتفقوا بل أجمعوا على كفر الجهمية و إذا قالت المعتزلة بقول الجهمية دخلوا في حكمهم. و قد ذكر الإجماع جماعة من أهل العلم: ذكره الطبراني أبو القاسم في كتابه الكبير المسمى بالسنة - يسر الله العثور عليه-. و ذكره أيضاً اللالكائي في شرح اعتقاد أصول أهل السنة. و نظم ذلك ابن القيم رحمه الله لما قال:

و لقد تقلد كفرهم خمسون..... في عشر من العلماء في البلدان
خمسون في عشر: خمسمائة, (و لقد تقلد) أي أظهر و قال كفرهم.
و لقد حكاها الإمام اللالكائي..... و من قبله الحافظ الطبراني.
هذه جملة مسائل في هذا المقام في ذكر الفرق و تعلمون أن الكلام في أصولها يتشعب إلى
فروع لكننا و إن ذهبنا إلى بعض التفصيلات نحب أن نرجع إلى الأصول لأن المقصود ذكر
أصول هذه الفرق.

الدرس السابع

الصوفية

الفرقة الخامسة من أصول الفرق الصوفية و أنا أعتذر بادئ ذي بدء لأن الكلام على
الصوفية لا تسعه محاضرة أو درس أو درسان أو ثلاثة و أنتم أدرى بهذا فجلكم جاء من بلاد
قد فشت فيها الطرق الصوفية. ربما بعضكم قد انتقل عن إحدى الطرق قريبا. لا غضاضة,
فقد كان بعض الصحابة الذين هم أفضل منا و منكم على الشرك, فمن الله عليهم فصاروا
موحدين مؤمنين.

الصوفية من أشهر الفرق في تاريخ المسلمين لأنها فرقة نشأت في القرن الثاني الهجري و يزداد
وجودها و حضورها في تاريخ المسلمين القديم و المعاصر و تزداد شعبها و تفرقاتها. إذا كان
الروافض الإمامية قد نافت فرقهم على السبعين فرما طوائف الصوفية يتعدون المائتين بأسمائها
و مسمياتها. لأن كل فرقة يتشعب منها فرق لأن الصوفية تقوم على تعظيم و تقديس
الأشخاص. فلو أن إنسانا في الطريقة التيجانية مثلا أو القادرية أو الشاذلية أو السهروردية
أو الطريقة البدوية أو الحتمية أو الجشتية كان له مقام في هذه الطريقة و له اجتهاد في العبادة
و له أتباع إذا مات انتحل أتباعه النسبة إليه فتفرع هذا الاسم عن تلك الطائفة الأولى كما
سيبين لكم إن شاء الله في تمام الكلام على هذه الطرق.

سبب تسميتهم

أولا الصوفية, هذا الاسم من أين جاء؟

اختلف المتكلمون في المقالات و أرباب النحل و المقالات في اسم الصوفية. قيل إنه نسبة إلى صوفة و هو رجل في الجاهلية يقال له غوث بن مر. و كان هو و من معه يقومون على خدمة الكعبة و كانوا زاهدين عما في أيدي الناس من المتاع و الدنيا و النساء و غير ذلك. هذا قول, لكنه قول ضعيف.

قيل قول ثاني إنها نسبة إلى أهل الصفة لأن شعار الصوفية الفقر و أهلها الفقراء. و الصفة هي المكان الذي في شمال حجرات النبي ρ قريب المشربية الآن. هذا المكان كان مظلا بالعريش و كان ينزل فيه من يفد إلى النبي ρ و يهاجر إليه من المسلمين فكان منزل فقراء المهاجرين. و أحيانا لا يجدون شيئا. و ربما أنهم لم يجدوا إلا أكسية يغطون بها عوراتهم. و سما بأهل الصفة لأنهم في صف و الصفة في أصلها الحجرة. فقيل إن الصوفية نسبة إليهم و هذا خطأ لأنه لو كانت النسبة إلى أهل الصفة ل قيل صفي و لم يقل صوفي.

قول ثالث أن الصوفية نسبة إلى كلمة يونانية قديمة (صوف) و هي الحكمة, فقالوا إن الصوفية هي الحكمة, فهي قديمة مأخوذة من اليونان.

قول رابع أن الصوفية نسبة إلى الصفاء لأن المتصوفين و الصوفية يطلبون و يسعون إلى تحقيق الصفاء في قلوبهم الصفاء عن الدنيا و عن الرزايا و عن التعلق بغير الله و لهذا جاء عندهم ما يسمى.. و ما يسمى بالشهود أن يشهد سوى الله.

و الصفاء و التصفية مطلب للصوفية و النسبة إليها خطأ أيضا, لو كانت النسبة إلى الصفاء أو التصفية ل قيل صفائي أو **صفوي**¹. و هذا القول هو الذي زعمه أبو حامد محمد بن محمد الغزالي و هو الذي ادعاه أيضا ابن عربي الجياني الطائي الصوفي الملقب بمحي الدين و إنما هو في الحقيقية مبيت الدين.

و عندنا ابن العربي غير ابن عربي ابن العربي أبو بكر بن العربي المالكي الأندلسي العالم الشهير عالم المالكية الشهير صاحب الشروح على الموطأ و على جامع الترمذي الصحيح.

¹ كلمة غير مسموعة .

أما محي الدين ابن عربي الطائي الجياني الأندلسي فإنه ملحد زنديق توفي (638) تقريبا يزعمون أن الصوفية نسبة إلى الصفاء و التصفية.

القول الصحيح في نسبة الصوفية أنها نسبة إلى لبس الصوف لأن لباس الصوف كناية عن الزهد و التقلل من الدنيا و الخشونة و لأن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام كان أكثر لباسهم الصوف. فقالوا إن الصوفية نسبة إلى الصوف لأنه هو شعارهم و هو لباسهم و إلى هذا ذهب أكثر العلماء منهم الطوسي المتوفى في سنة (387). و هو الذي رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية و هو قول أكثر العلماء أرباب المقالات و الفرق.

التصوف بدأ في أواخر عصر التابعين, و شيخ الإسلام ابن تيمية - هو الذي هضم المقالات و أقوال أهلها و افتراقهم - قال : إنه حدثت في آخر عصر التابعين بدع ثلاث كبار: حدث الكلام, و الرأي و التصوف.

- الرأي هو الأخذ بآراء الرجال و ترك أدلة الشرع.

- و الكلام الاستعاضة عن دراسة العقيدة بأدلتها إلى القيل و القال و الأقيسة العقلية و المنطقية و القوانين الفلسفية.

- و التصوف.

فأما الرأي فجمهوره كان في الكوفة و أما الكلام و التصوف فإنه كان في البصرة حيث ظهر واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري و محمد بن سيرين و قد ماتا رحمهما الله في سنة (110هـ). فظهرت هذه المقالات في هذين المصرين في الكوفة في ظهور الرأي و في البصرة في ظهور الكلام عند المعتزلة خصوصا و ظهور التصوف.

قالوا: إن رجلا من الزهاد في البصرة يقال له أحمد بن علي الهجيمي المتوفى في سنة (200 هـ), أنه ابتنى في البصرة دوية أي دار صغيرة جعلها للذكر و السماع و هي أول دار بنيت للصوفية في تاريخ المسلمين.

تطور هذا الذكر و السماع إلى ما يسمى بالأحوال و الغناء لأن الذكر الجماعي يورث جرسا موسيقيا فينشطون أنفسهم به بالضرب بالدفوف و الرقص إلى أن وصل إلى الغناء, حيث أضحى من شعار الصوفية الآن - في عامة فرقهم - سماع الغناء و استخدام آلات المعازف و

اللهو. قال شيخ الإسلام: إن هذه الدويرة أو هذه الدار أول دار صرفت الناس عن المساجد إلى دور الذكر و السماع و ما يتعلق بها.

وقيل إن أول من عرف باسم الصوفي في تأريخ المسلمين رجل يقال له أبو هاشم الكوفي توفي في سنة (162هـ) و كان معاصراً لأمير المؤمنين في الحديث سفيان بن سعيد الثوري أبي عبد الله. و كان أبو عبد الله ربما استفاد منه دقائق الرياء, لأن القوم يعنون بهذه المسائل في أولهم في حذرهم منها إلى أن دخل عليهم الشيطان من جهة الجهل و اشتغالهم بالعبادة.

ابن الجوزي له كتاب حافل, هو من أنفس كتبه يسمى بتبليس إبليس. هذا الكتاب ذكر فيه مداخل و طرائق للشيطان على هؤلاء المتعبدين و على طلبة العلم و على غيرهم. و باب الشيطان إلى هؤلاء المتعبدة باب واسع و الشيطان - كما مر علينا و عليكم - يطبخ على نار هادئة: لا يرجو الضلال من ذلك الجيل إذا ضمن الضلال من الجيل الثاني. و الدليل ما رواه البخاري في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنه قال: كان بين آدم و بين نوح عشرة قرون كلهم على التوحيد حتى مات خمسة من كبرائهم و هم ود و يغوث و سواع و يعوق و نسر. ماتوا في وقت مقارب فجاء إليهم الشيطان أن صوروا لهم صوراً و انصبوها في مجالسكم (و الصور هي التماثل) حتى إذا رأيتموهم نشطتم على العبادة.

جاءهم الخبيث - أعاذنا الله و إياكم منه - بمقصد حسن و هو أن ينشطوا على العبادة, لكن بطريقة و وسيلة محرمة ففعلوا ذلك.

فنصبوا لهم صوراً و تماثيل في مجالسهم فكانوا إذا رأوا هذه التماثيل و الصور نشطوا على العبادة. فلما ذهب ذلك الجيل و جاء جيل آخر و نسي العلم جاءهم الشيطان قال: إن آباءكم أو أسلافكم لم ينصبوا هذه التماثيل إلا أنهم كانوا يستشفعون بها إلى الله و يدعون الله بها و يستغيثون بها إلى الله. قال: فدعيت من دون الله فوق الشرك فأرسل الله جل و علا رسوله نوحاً عليه الصلاة و السلام. هكذا الشيطان يأتي إلى هؤلاء المتزهدة المتكشفة مع قلة بضعتهم في العلم إلى أن يوقعهم في الخطأ و في اللغظ شيئاً فشيئاً.

مما ينبغي أن يؤكد عليه أن أول ظهور لهؤلاء الصوفية كان مرتبطاً بالرافضة حتى أن أبا هاشم الكوفي هذا, كان معدوداً من فرق الرافضة عند ترفض و عنده تصوف.

و لهذا قالوا في رجل يقال له عبدة أو عبد الواحد توفي (210) كان رافضيا و كان صوفيا. و في هذا المقام هناك رسالة دكتوراه لرجل عراقي اسمه محمد كامل مصطفى الشبي سماها "الصلة بين التصوف و التشيع". و من تأمل في حقيقة المذهبين يجد بينهما روابط قوية في النشأة و حتى في الواقع الآن. الصوفية هم المركب السهل للروافض في الوصول لغاياتهم. فشو الروافض الآن في بلاد أفريقيا و في بلاد آسيا إنما كان من طريق الطرق الصوفية, يلعبون عليهم بقاسم حبههم لآل بيت النبي ρ و تعظيم رسول الله و تعظيم الأولياء و بغض هؤلاء "الوهابية" الذين يفعلون و يفعلون و يفعلون...

يركبون هذا المركب مع هؤلاء الجهال ليصلوا إلى غاياتهم و يستخدمون في وسائل ذلك الأموال و النفوذ و الرئاسة ليحققوا هذه الغايات.

التصوف اختلط بعلم الكلام في نشأته و لهذا من أشهر الصوفية أبو القاسم الجنيد الذي يلقب بسيد الطائفة. و أبو القاسم الجنيد الذي عاش في القرن الثالث توفي في سنة (298 هـ) أخذ عن مجموعة. ممن أخذ عنهم الحارث المحاسبي و هو من خلط الكلام بالتصوف فإن الحارث المحاسبي كانت عنده شطحات في علم الكلام و لهذا هجره الإمام أحمد بن حنبل. تأثر أيضا الجنيد بالسري السقطي المتوفى (253) و كان خاله. الجنيد أيضا تأثر في التصوف برجل مشهور هو عمدة بل هو قطب من أقطاب الصوفية و هو الملقب بذي النون المصري, و كان ذو النون المصري نوبيا من جنوب مصر من جهة الصعيد و هو أول من تكلم بالمقامات: مقامات العبودية و العباد. و تكلم بالأحوال: أحوال الناس, و تكلم بالكشف و الذوق و الظاهر و الباطن و قد توفي المصري ذو النون في سنة (245) و كان على الطريقة الملامتية و هي طريقة صوفية قديمة جديدة.

ما هي الطريقة ملامتية؟ يفعل هؤلاء أفعالا يلومهم الناس عليها, إما من ترك الواجبات و الفرائض أو من فعل المكروهات أو المحرمات المستقبحات. قالوا يخفون بذلك إيمانهم و سرهم مع الله ليلومهم الناس فيبعدوا عن أنفسهم الرياء. انظروا إلى مدخل الشيطان عليهم!!! و أشهر من عرف من الملامتية رجل يقال له القصاف في القرن الرابع الهجري. فهم ليدفعوا الرياء يفعلون المحرمات و يتركون الواجبات, و القاعدة الشرعية أن عمل الأعمال من أجل الناس رياء و ترك الأعمال من أجل الناس رياء.

المراحل التي مرت بها الصوفية

التصوف مر بمراحل. أول هذه المراحل مرحلة الزهد و البعد عن الدنيا و عن الملذات و لهذا كان شعارهم الخشونة بلبس الصوف, لأن الناس في القرن الثاني و الثالث انغمسوا في الدنيا. لما فتحت الفتوحات و كثرت الأموال و السبايا انصرف من انصرف عن الدنيا و ملذاتها إلى هذا الزهد. اقترن مع الزهد التعبد و كان على هذه الطريقة مجموعة منهم الفضيل بن عياض الذي عاب على عبد الله بن المبارك الجهاد في سبيل الله. فقال له عبد الله بن مبارك يا عابد الحرمين لو أبصرتنا... لوجدت أنك بالعبادة تلعب

لأنه في جهاد و هذا في عبادة في الحرمين. منهم إبراهيم بن أدهم الزاهد المشهور, منهم أيضا أبو القاسم الجنيد, منهم الداراني, إلا أن هؤلاء في هذه المرحلة كانوا يذمون البدع كانوا على عبادة و تأله لكن على ضعف في الاشتغال بالعلم و الحديث و السنة. و لهذا قال الجنيد علمنا مضبوط بالكتاب و السنة فما خالفه فإنه مردود. و هو سيد الطائفة! لكن القوم نحلوا عليه بعد ذلك أقوالا و أحوالا هي بعيدة عنه و عن مذهبه.

كانوا يذمون البدع كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية عن هؤلاء الكبار عن إبراهيم ابن أدهم و الجنيد و أبي إسماعيل الداراني. قرره رحمه الله في كتاب له وجزير لكنه عظم في بابه : الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان. هذا الكتاب عمدة في هذا الباب في كشف ارتباط هؤلاء المتصوفة بأولئك الكبار.

شيخ الإسلام له كتاب آخر في مناقشة الصوفية و كشفهم " الاستقامة " في الرد على أبي القاسم القشيري الأشعري الصوفي صاحب الرسالة القشيرية. و كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام غير الكتاب الكبير المسمى بقواعد الاستقامة الذي ذكره تلميذه ابن القيم في النونية لما عدد جملة من مصنفاته قال:

وكذا قواعد الاستقامة أنها ... سفران فيما بيننا ضخمان

و اذكر لكم هنا فائدة أن شيخ مشايخنا الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي لما قرأ النونية و شرحها سمت همته إلى البحث عن هذا الكتاب: قواعد الاستقامة, لأن ابن القيم أشار إليها, لما أشار إلى جملة من الكتب قال:

وكذلك التأسيس أصبح نقضه ... أعجوبة للعالم الرباني

و هو بيان تلبيس الجهمية الذي طبع أخيرا:

وكذاك أجوبة له مصرية ... في ست أسفار كتبن سمان

...

وكذاك تسعينية فيها له ... رد على من قال بالنفساني

تسعون وجها بينت بطلانه..... أعني كلام النفس ذا الوجدان

فبحث عنه الشيخ ابن سعدي و كان يوصي الناس الذين يسافرون إلى الشام و إلى العراق و إلى الهند و إلى مصر و إلى الحجاز أنهم إذا عثروا عليه يأتون به. و كان يوصي بعض جماعتنا ممن كانوا يسافرون للتجارة. حتى لما عجز عنه شرع في قراءة كتب شيخ الإسلام ثم في قراءة كتب تلميذه ابن القيم فاستخلص منها قواعد و أصول و ضوابط فجاءت في كتاب له في أكثر من ألف قاعدة و ضابط و أصل, ألف و ستة عشر بالتحديد. في كتابه "تحقيق الوصول من العلم المأمول" في مجلد جمعه رحمه الله من قواعد وجددها في كتب شيخ الإسلام و تلميذه ابن القيم و ضم إليهم ضوابط و أصولا و ذكر هذا في مقدمتها. قواعد الاستقامة غير كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام الذي سمعتموه.

هذه المرحلة - مرحلة الزهد و التعبد - هي الغالب الآن عند المبتدئ عند الطرق الصوفية. يشغلونه بالتعبد بالأذكار بالعبادات, يشغلونه بالتزهد في الدنيا و التخفف منها. هذه المرحلة لم يستقر عليها القوم و إنما زادوا عليها أنواعا من البدع, كأنواع من الرياضات. يسهر الأيام و الليالي ما ينام. و لهذا من صور رياضاتهم أنه ربما يبقى في البئر أو في النهر واقفا لأنه إذا نام انغمس في الماء. هذه من صور رياضاتهم. أضافوا إليها أذكارا على هيئات جديدة: إما بأعداد جديدة إما بصيغ جديدة و لهذا من أذكارهم "الله حي", تكرر اسم من أسماء الله أو عدة أسماء الله "حي عليم سميع", أو "الله الله الله" إلى أن بلغوا (هو هو هو). لأنه إذا قال "الله الله الله" تتداخل الحروف و يدغم أولها و يبقى (هو هو هو) الذي هو النفس. فظنوا أن "هو" من أسماء الله و سوغهم على ذلك جهلهم و (ما يعلم جنود ربك إلا هو) فلما

وقفت العرب - و العرب تقف في كلامهم على ساكن - ظنوا أنه من أسماء الله و إلا (و ما يعلم جنود ربك إلا هو و ما هو إلا ذكرى للبشر). هذا في تطور اعتقادهم بالذكر الذي أحدث عندهم بدعا في أسماء الله و صفاته.

انضاف إلى هذه المرحلة قلة اشتغالهم بالعلم فهم في عبادة و تأله و تزهد ففتحوا عليهم بابا من الشيطان لم يحتسبوه عليه. فجاءهم الشيطان من حيث لم يحتسبوا.

انضاف إلى ذلك اهتمامهم بالقصص و الحكايات و الوعظ بها و قلة الاشتغال بالعلم. تطور هذا إلى اشتغال بالرؤى و المنامات و هو قاسم مشترك بين الأوائل و الأواخر، و هذا شعار عوام الصوفية يعتقدون أن فلانا من أولياء الله بمنامه رآه أو رئي له.

تطور ذلك إلى أن وجد عندهم أشياء جديدة مثل العشق الإلهي و أول ما عرف العشق الإلهي عند رابعة العدوية التي قالت: "إني لا أعبد الله خوفا من عذابه و لا طلبا لجنته و إنما أعبده لمحض الحب"، بالحب المجرد الذي يسمى بالعشق الإلهي.

تطور أيضا إلى ما يسمى بتعذيب النفس تعذيب البدن لتسمو الروح. و هذا المأخذ في تعذيب البدن لتسمو الروح له صلة بالثقافات و الحضارات القديمة كالبودية و الكنفشسية فعندهم أنه يعذب البدن لتسمو الروح و لترتفع عن الدنيا و هذا ما يسمى بالغنوسية و هو استجلاب ما عند الديانات و الملل القديمة سواء ينانية أو بوذية أو هندوكية أو كنفشوسية. الكنفشوسية هي الديانة المعروفة في نيبال و في الصين و في كوريا اتباعا لرجل يسمى كنفشوس.

تطور هذا إلى أن وصلت عندهم شطحات عظيمة منها التفريق بين الحقيقة و بين الشريعة. الشريعة للعوام و الحقيقة للخواص التفريق بين العلم الظاهر و العلم الباطن. و من العلم الباطن ما يأتي و يسمى بالعلم اللدني : هذا آتاه الله من لدنه علما كما يكون في الخضر. و لهذا الخضر عليه السلام - و هو نبي في أصح الأقوال - تجدونه قاسما مشتركا عند جماعات و طرق الصوفية كلهم ينتسبون إليه و ينتحلونه لأن الله آتاه من لدنه علما. قال (و ما فعلت عن أمري). و هذه البدع أعني الفرق بين الحقيقة و الشريعة و الظاهر و الباطن و العلم اللدني و التلقي أكثرها مأخوذات من كبار هؤلاء المتصوفة. حتى إنهم نسبوها إلى ذي النون و إلى غيره، و القوم لا يتورعون عن الكذب. و لهذا تجدون عندهم نسبة كثيرة ينسبون

الشيء إلى أكثر من واحد كذبا لأن ما عندهم أسانيد، ما عندهم علم ما عندهم تحري، و إنما يكفيهم مجرد الذوق و الوجد و الإحساس و الفيوضات و الكشوفات على ما يأتي بيانه. ظهر عندهم ما يسمى بالفيوضات فعلمه يأتي فيوض يفاض إليه، و فراسة و كشوفات و هواتف تخاطبه الجان، و الجان عندهم هي الملائكة. الملائكة تخاطب الأولياء كما يزعمون و يأتي الإشراقات و المنامات و الذوق إلى أن وصل إلى مرحلة الاختلاط بالمذهب الباطني في ظهور الحلول و هو أن الله يحل في عبده تعالى الله عما يقولون. ثم تتطوروا إلى الاتحاد بأنه لا فرق بين الخالق و المخلوق و هو غاية ما عندهم من الكفر و الزندقة بوحدة الوجود.

من اختلاطهم بالباطنية ظهور وحدة الوجود و الفناء (يفنى في غير الله) و الاتحاد و الحلول. إذن يمكن أن نلخص المراحل التي مر بها التصوف من ناحية المضامين إلى ثلاث مراحل: - المرحلة الأولى مرحلة الزهد و التعب و قد صاحبها شيء من أنواع العبادات و الرياضات فيها بعض البدع.

- المرحلة الثانية من خلطوا الزهد بأشياء باطنية كالاقتادات الباطنية بالظاهر و الباطن و الحقيقة و الشريعة أو إلحاق الزهد بالبدع بأذكار مبتدعة برياضات مبتدعة بعبادات مبتدعة. من المرحلة الثانية هذا اشتهر أبو يزيد البسطامي المتوفى سنة (263) و الحكيم الترمذي الذي كان مشغلا بالحديث لكنه اشتغل بالتصوف توفي سنة (320) و ألف كتابه في ختم الولاية: أن للأولياء خاتم كما أن للأنبياء خاتم، و جعل الولي فوق النبي و لهذا قالوا: مقام النبوة في برزخ.... فوق الرسول و دون الولي

- المرحلة الثالثة اختلاط مذهب الصوفية بالفلسفة اليونانية و الفلسفات المستوردة من أديان و ملل شتى كالبودية و الكنفشسية و الهندوكية و فلاسفة الهند و أصحاب الهياكل و الإغريق و هو الذي يسمى عند العلماء بالغنوسية، المذهب الباطني الذي يرتبط بالإلهيات و التعب لله جل و علا. فظهر في هذا الارتباط ظهور الحلول و الاتحاد، وحدة الوجود و الفناء، الفناء عن سوى الله و الفناء عن شهود ما سوى الله جل و علا الذي يفضي إلى وحدة الوجود. و من وسائل ذلك التفكير و التأمل و أنها أعظم العبادات إلى أن توصل إلى مثل هذا التواجد و التدوق و الإشراقات و المنامات و الفيوضات و الكشوفات إلى أن توصل - و العياذ بالله - هذه المرحلة المتقدمة من دركات الزندقة في اعتقاد الحلول و الاتحاد و وحدة الوجود. و

أشهر من عرف بذلك الحلاج توفي (309هـ) مقتولا الذي قال: ما في الجبة إلا الله. اعتقد أن الله حل فيه و العياذ بالله!!!

القوم لهم أقوال و لهم أحوال, والله نستحي من الله ثم من عباد الله من ذكرها و لكنه شر عظيم أولجه إبليس عليهم من باب التعبد لله جل و علا. من هؤلاء شهاب الدين السهروردي المتوفى في سنة (587هـ) الذي تنسب إليه الطريقة المشهورة الطريقة السهروردية المشهورة في أواسط آسيا و في بلاد الهند, في تركيا و أذربيجان و **تدجكستان** و **قشقند** إلى أن انحدرت إلى بلاد الهند, و هي تتعايش مع المذهب الرافضي. من هؤلاء أيضا ابن عربي محي الدين - بل هو ميمت الدين - ابن عربي الصوفي الطائي الجياني الأندلسي المتوفى في سنة (632) في دمشق. و على قبره مقام عظيم يقصده العوام الجهال, يرجونه و يتقربون إليه ينذرون له, يسمى بقبر الشيخ محي الدين و يحلفون به و ينذرون له. من هؤلاء أيضا صاحبه و هو أخبث منه في هذه المرحلة من مراحل من الغنوسية و ربط التصوف بالباطنية و الفلسفة و هو ابن الفارض المتوفى في سنة (632). و منهم أيضا ابن سبعين الخبيث المتوفى في سنة (637). شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ناقش هؤلاء و فضحهم و لهم كتب و مؤلفات. ابن الفارض له رسائل و كذا ابن سبعين. ابن عربي له كتب كثيرة - الذي يعتبره من يعتبره من الجهال مجددا و عالما و يجعل له المؤتمرات - من كتبه "الفتوحات المكية" و "فصوص الحكم" و "تفسير القرآن" و هي كتب مليئة بالكفر و العياذ بالله. حسبكم من ذلك أنه حامل راية وحدة الوجود و أنه يقول إن القرآن كتاب شرك, ما هو كتاب توحيد, و أن المشركين إنما وقعوا في الشرك و الكفر لما خصصوا في الإلهية. قالوا: إن الإله هو اللات أو العزى أو مناة أو فرعون و لو عمموا لكانوا موحدين ما كانوا مشركين. المقصود أن مذاهب القوم يستحي من ذكرها من الله ثم من عباد الله عز و جل. هذه هي مراحل التصوف.

أشخاص أثروا على الصوفية

أشير هاهنا إلى أثر أشخاص على المتصوفة.

أولهم أبو القاسم القشيري الأشعري المنتوفى في سنة (478) صاحب الرسالة القشيرية. فإن أبا القاسم القشيري أول من أدخل مذهب الأشاعرة في التصوف.

و تبعه أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي صاحب إحياء علوم الدين الذي سماه المازري - عالم الأندلس - سماه بإماتة علوم الدين. و أبو حامد الغزالي توفي (505) تدرج في أربعة مراحل. كان في أول الأمر على طريقة الفلاسفة و عاش عليها دهرا و قد نشأ في العراق. ثم تركها و ألف كتابه "تهافت الفلاسفة"، و صار أشعريا ثم ترك الاشتغال بالأشعرية إلى التزهيد و التأله فهاجر إلى بيت المقدس عشر سنين و ألف فيها كتابه "إحياء علوم الدين" و ألفه على أربعة أرباع: ربع العبادات و ربع العادات و ربع المهلكات و ربع المنجيات".¹

و العجيب أن هذا الكتاب يشتهر عند أصحاب الطرق أعظم من اشتهار صحيح الإمام البخاري.

و لما كنت صغيرا رأيت في مكة أمرا عجبا. رأيت بعض إخواننا الذين يأتون من أفريقيا يسألون عن مكتبة الحرام, و كانت المكتبات في جهة المروة عند المدعى, عند باب السلام قديما, و إذا هم يشترون إحياء علوم الدين و يحرصون عليه. فأصبح شعارا عندنا "من يحرص على هذا الكتاب فيه لوثة تصوف أو أنه منتسب إلى طريقة من الطرق". و لقيت رجلا ينتسب إلى الطريقة السمانية و هي من الطرق الموجودة في السودان. و كان يوصيني في مكة بكتاب إحياء علوم الدين قال: هو أعظم كتاب ألف عند المسلمين. قلت: أعظم من البخاري. قال: أعظم من البخاري!!! ينشأ الناشئ على ما عود و على ما علم.

¹ الشيخ - حفظه الله - لم يذكر المرحلة الرابعة هنا و ذكرها في جواب عن سؤال فقال: المرحلة الرابعة التي مر بها و لم يمكن عليها كثيرا برجوعه إلى مذهب السلف و طريقة أهل السنة حتى إنه مات و صحيح البخاري على صدره. و للأسف الشديد لم يؤلف في هذه المرحلة شيئا و كان العلماء يقولون: ليت الإمام أبا حامد الغزالي ألف في هذه المرحلة. لأنه ذو قلم سيال, من قرأ كتبه وجد فيها الذوق في سوق العبارات و مخالطة النفوس و مخاطبتها لكن لله الأمر من قبل و من بعد لتعظم البلية و ليمحص أهل الإيمان من غيرهم.

أبو حامد الغزالي و سمي بالغزالي من اشتغالهم بالغزل تسهلت عند الناس للغزالي، و الأمر عندي سهل و اسع. أبو حامد الغزالي و أبو القاسم القشيري هما اللذان تولى كبر إدخال مذهب الأشاعرة على عموم الصوفية، و لهذا لا تكاد تجد صوفيا إلا و هو في باب الأسماء و الصفات أشعري أو يكون أشد: جهميا أو معتزليا. عامتهم أشاعرة فدخل هذا المذهب - مذهب الأشاعرة - في طرق الصوفية بواسطة هذين الرجلين.

ثمة رجل آخر و هو عدي بن مسافر و كان من أصحاب و من أتباع عبد القادر الجيلاني. غلا فيه أتباعه غلوا عظيما و ناقشهم كثيرا شيخ الإسلام ابن تيمية و ألف الرسالة "العدوية الكبرى" أو "الرسالة سننية إلى الطائفة العدوية" إلى أتباع عدي بن مسافر. لكن هذه أصبح أثرها محدودا بعد ذلك لأنها ساخت في الطريقة القادرية و **النقشبندية** و غيرها من الطرق على ما سيأتي إن شاء الله ذكرها في أنماط من هذه الطرق.

أصول الطرق الصوفية

ظهرت بعد ذلك - بعد القرن السابع تقريبا - الطرق الصوفية الموجودة الآن أصولها و لهذا قالوا إن أقطاب الطرق أربعة طرق:

الطريقة القدرية المنتسبة إلى عبد القادر الجيلاني و الطريقة الأحمدية. و الأحمدية إما إلى أحمد البدوي أو إلى أحمد الرفاعي و الطريقة الرفاعية و اختلفوا في الرابع فقبل الطريقة النقشبندية و قيل الطريقة السهروردية. أما التيجانية فما جاءت إلى في أول القرن الحادي عشر. و لهذا أهل الطرق يختلفون عند ذكر الأقطاب.

لكنهم يتحدثون على الطريقة القدرية لأن الطريقة من أوسع الطرق الصوفية انتشارا في العالم الإسلامي و غير الإسلامي.

أختم هذا المبحث بذكر أن الطرق الصوفية مما رعاها الاستعمار في القرن الثاني عشر و الثالث عشر و الحادي عشر أيضا. لأن الاستعمار بدأ تقريبا في القرن الحادي عشر بالاستعمار الهولندي و البرتغالي على أطراف بلدان المسلمين في إفريقيا أو في آسيا ثم في

القرن الثاني عشر و الثالث عشر و الرابع عشر. الاستعمار رعى هذه الطرق غذاها و نماها و قواها لأن الصوفية لا يقاومون الاستعمار. ليس عندهم جهاد إلا جهاد النفس بالرياضة و التزهد و التأله و الذكر. و لهذا الطرق الصوفية مصاحبة للاستعمار, يغذيها بالمال بالجاه, بالرئاسة. و هذا قاسم قديم و قريب. من أوائل المتعبدين الفضيل بن عياض و كان عالما سلفيا لكنه فضل العبادة في الحرمين على الجهاد¹ و ابن المبارك قال له في قصيدته المشهورة :
يا عابد الحرمين...

و إلا الفضيل بن عياض كان عالما سلفيا ألم يقل في قوله تعالى (ليلوكم أيكم أحسن عملا) قال: أحسنه, أخلصه و أصوبه. فلم يكن العمل صائبا إلا إذا كان لله مخلصا و على طريقة النبي ﷺ. لكن الشيء يزداد شيئا فشيئا إلى أن عطلوا الجهاد في سبيل الله بل وكانوا أداة سوء و دالة سوء على المجاهدين في سبيل الله ضد هؤلاء المستعمرين. هذا جملة في نشأة هذه الصوفية و تنوع المناحي فيها و أرجى الكلام على أشهر الطرق إلى جلسة قادمة...

الدرس الثامن:

القواسم المشتركة بين الطرق الصوفية

... في دقائق هذا اليوم نذكر لكم أشهر الطرق الصوفية و قبل ذلك نتذاكر و إياكم القواسم المشتركة بين هذه الطرق. فطرق الصوفية على تنوعها و اختلاف نسبها و انتسابها و انتشارها في بلدان المسلمين - و الآن انتقلت حتى إلى بلدان غير المسلمين في أوروبا و أمريكا و جنوب شرق آسيا, انتقلت إليها الطرق الصوفية بوجه أو بآخر - ثمة قواسم مشتركة بين هذه الطرق.

- القاسم الأول دعوى الزهد و التقشف.

¹ بتصرف يسير

- القاسم الثاني دعوى الرياضة الروحية و البدنية بالامتناع عن الأطعمة أو بعض الأطعمة أو قلة النوم أو الخلوات. و لهذا شعارهم الزوايا و الخلاوي التي وظفت عند بعض المسلمين في حفظ القرآن و العناية به و إلا فأصل الزوايا و الخلاوي أنها للأذكار و للأوراد.

- قاسم ثالث من قواسمهم الأوراد بحفظها و تحفيظها للعوام و المريدين. لكل طريقة حزب و لكل شيخ ورد يعلمه تلميذه و مريده.

القاسم الرابع غلوهم في ذات النبي P. فمنهم من يقول إنه خلق من نور الله كما تقوله التيجانية. و منهم من يقول إنه خلق من النور و لم خلق من الطين و منهم من يقول إنه خلق من أعلا طينة في الجنة. فهم يغلون في ذات النبي P, في ذاته و شخصه ثم يغلون فيما يصرفون إليه من أنواع العبادات و الاتجاهات و السؤال. يتبع هذا الأصل غلوهم في آل البيت في زوجاته في نسائه في أولاده و في بناته و في ذرياتهم. و كذا غلوهم في الصحابة و غلوهم في الزهاد بعد ذلك إلى أن يصلوا إلى تقديس أوليائهم الذين يعتقدون عصمتهم أو ولايتهم.

- قاسم آخر أنهم يغلون في الشيوخ فيرفعونهم فوق منازلهم و لهذا يعتقدون في شيوخهم أنهم أقطاب العالم أو أنهم أوتاده أو أن فلانا هو القطب الأعظم. كل طائفة تدعي القطبية العظمى و الكبرى في شيخها الذي تعظمه. كذلك غلوهم في تقليد و اتباع المريد لشيخه فيجب أن يكون المريد مع الشيخ لا يسأله كيف أو لماذا و إنما يكون مقلدا له حتى يسمو في مراتب الولاية عندهم.

- من القواسم المشتركة بين الطرق الصوفية اعتقادهم الفرق بين الحقيقة و الشريعة و أن الإنسان لا يزال يترقى في تصفية نفسه بالرياضة و الذكر و الورد و ملازمة الشيخ إلى أن يصل إلى مرتبة اليقين و مرتبة الحقيقة و الكشف حتى ترفع عنه التكاليف. هذا قاسم مشترك بين الطرق.

- من ذلك أيضا عنايتهم بالبدعة و نفورهم من السنة, فالبدع شعارهم و دنارهم و السنن أبعد ما يحرصون عليه. و لهذا عندهم البدع في الخرق و تداولها عندهم البدع في الاحتفالات و الأطعمة و الرقص و السماع, عندهم البدع حتى في الاعتقادات.

- كذلك من الجوامع المشتركة بينهم و هو اعتقادهم في المنامات و الفيوضات و الكشوفات و الهواتف, فيستحسنون ديناً من جهة هذه المصادر لا من جهة الوحيين, الكتاب و السنة.
- من الأصول المشتركة وقوعهم في الشطحات العظيمة مثل حلول الله في المخلوق أو اتحاد الله بالمخلوق أو وحدة الوجود. هذا قاسم مشترك بين الطرق لكنها في زعمائهم و قياداتهم و أوليائهم.

- من القواسم المشتركة أيضاً اعتقادهم أن لا ولاية إلا بكرامة فلا يكون الإنسان من أولياء الله إلا إذا وقعت له الكرامة. و لهذا ذهبوا يطلبون أنواع الكرامات حتى من الخوارق الشيطانية و الأحوال الإبليسية الجنية و الكذب و السحر و الدجل كما سيأتي في مناظرة شيخ الإسلام للبطنائية. يزعمون أنهم يمشون في الهوى أو على الماء أو يطيرون أو يأكلون السم و الحيات, لأنه يعتقد أنه كرامة لا يضره من ذلك شيء فهذا من القواسم المشتركة عند هؤلاء, إلى أمثال ذلك .

أشهر الطرق الصوفية

أعرض الآن إلى أشهر الطرق الصوفية من باب التنبيه عليها و على رموزها و أستفيد منكم في انتشارها في العالم.

أشهر الطرق الصوفية على الإطلاق و أوسعها انتشاراً الطريقة القادرية و هي المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي الحنبلي البغدادي الملقب بعبد القادر الجيلاني المولود في سنة (470 هـ) و المتوفى في سنة (561) ببغداد. و عبد القادر ابن أبي صالح الجيلي أو الجيلاني كان معدوداً من علماء الحنابلة و له في المذهب تصانيف و فتاوى لكن له التفات إلى جانب الزهد و النقشف. و له أخطاء وقع فيها فيما يتعلق بالدين و الحقيقة مثل ما نبه عليه العلماء كشيخ الإسلام ابن تيمية من خلال كتابه "الغنية بين طالب الحق و الخلق".

قالوا إن عبد القادر الجيلاني ولد له تسعة و أربعون ولداً و نَحَج منهجه في الاشتغال بالزهد و الكلام على هذه المعارف عشرة من أولاده. و زعم أتباعه أنه أخذ التصوف مباشرة عن الحسن البصري الذي توفي سنة (110), و عبد القادر ولد سنة (470). بينهما ثلاثمائة و ستون سنة لكن هذا غير مستبعد عند الصوفية لأن من دخل في التصوف و الترفض لا بد

أن يلغي عقله. هذان المذهبان من ولج إليهما لا بد أن يلغي عقله و تفكيره لأن ثمة أمور يسمونها حوارق لا يدركها الناس. و أرادوا بذلك أن ينسبوه للحسن البصري لإمامته و جلالته في العلم و الزهد، و لأن الحسن أخذ عن الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهما. عبد القادر بن أبي صالح الجيلي مع علمه كان قويا، يذكر له أن الخليفة العباسي في بغداد نذر أن يعبد الله عبادة في وقت و مكان لا يعبد فيها أحد، فاستشكل ذلك أهل العلم في زمانه، فجلهم قالوا: يكفر كفارة يمين، تكفيرا لهذا النذر إلا عبد القادر الجيلان قال: يذهب إلى مكة معتمرا من بغداد. فإذا فرغ من عمرته يفرغ له المطاف فيطوف بالبيت أسبوعا وحده فيتحقق نذره بأن عبد الله عبادة في وقت و زمان لم يعده فيها أحد، و الطواف بالبيت يشتمل على استلام الحجر الأسود. و أراد بذلك أن يعزر هذا الخليفة لثلا ينذر مرة ثانية هذا النذر المنتطح المتكلف. عبد القادر حصلت منه شطحات و أغلاط في حياته لكن أتباعه عظموه و رفعوه فوق منزلته و نسجوا عليه أنواعا من الخيالات و الخرافات حتى قالوا إنه أخذ الخرقه و التصوف عن الحسن البصري، لأن التصوف عندهم بخرقه خضراء يتداولونها. و شعار المتصوفة لباس الأخضر في عمائمهم و في جيبهم فضلا عن السبح و خرزات التي يجمعونها.

نسب أصحابه إليه أنه قال: قدمي هذه على رقبة كل ولي لله، يعني أنه سيد الأولياء. و من أعظم الأولياء؟ الأنبياء و الرسل. فهل رقبة عبد القادر على أعناق الأنبياء عليهم الصلاة و السلام؟ هذا يدلكم على الشطح الذي وقعوا فيه. كما نسبوا إليه الشرك أنه قال: "من استغاث بي في كربة كشفت عنه و من ناداني في شدة فرجت عنه و من توسل إلي في حاجة قضيتها له." لهذا شعارهم "يا سيدي عبد القادر مدد!" "يا عبد القادر هب لي ولد" "يا عبد القادر فرج همي" و ربما بعضكم يسمعها أو قد سمعها. و هذا هو الشرك في العبادة و الشرك في الدعوة.

و الشرك، من تأمله و درسه وجد أنه يعود إلى أربعة أصول:

- 1- شرك في الدعوة، و هو عامة شرك المشركين قديما و حديثا.
- 2- و الشرك في الإرادة، في النوايا و المقاصد، و هو أصل شرك المنافقين في الرياء.

3- و شرك في الطاعة و هذا يقع عند الحكام و الأمراء و العلماء و يقع عند المتصوفة بأن يطيعوا معظميهم في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أباحه الله.

4- شرك في المحبة و هذا ظاهر حتى عند هؤلاء المتصوفة.

أقول إن الطريقة القادرية هي أوسع الطرق و افترق عنها طرق كثيرة، فالطريقة النقشبندية منها، من الطريقة القادرية، الطريقة **جشتية** في الهند من الطريقة القادرية. و العجيب أن هذه الطريقة رأيتها منتشرة في كثير من بلدان المسلمين و غير المسلمين: في بريطاني للطريقة القادرية فروع. و هي في المسلمين الذين هاجروا من بلدانهم إلى تلك البلاد، تحقيقاً لقول النبي **ρ** فيما خرجته مسلم في الصحيح: **لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمتي الأوثان و حتى تلحق فئام من أمتي بالمشركين.**¹ هذه الطريقة القادرية، أ تعرفون بلدا من بلدان المسلمين لا يوجد فيه فرع لهذه الطريقة؟ أما أنا فلا أعرف بلدا ليست فيه هذه الطريقة.

العجيب أن الطريقة القادرية يمكن أن نسميها أم الطرق كما قلنا في الجهمية أنها أم التعطيل. و لهذا كل طريقة من الطرق المشهورة لا بد أن صاحبها مر على الطريقة القادرية. لا بد أنه مر إما انخرط فيها في أول الأمر حتى علا قدره ثم أسس طريقة أخرى أو انتسب إليه مريدوه فصارت له طريقة مستقلة. و هذه الطريقة الآن في العالم ليست مخصوصة في العراق مرقد الشيخ عبد القادر. و على مرقد قبة عظيمة و ضريح عظيم. ليست مخصوصة بذلك المقام و لكن يقولون إن أتباعه انتشروا فنشروا طريقته و الخرقه التي أخذوها منه.

من الطرق الصوفية المشهورة الطريقة الرفاعية و تسمى بالبطائحية. الرفاعية نسبة إلى أحمد ابن أبي الحسين الرفاعي المولود في سنة (512) و المتوفى (578) و أحمد بن أبي الحسين الرفاعي يقول أتباعه إن نسبه ينتهي بموسى الكاظم ابن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه. و الطريقة الرفاعية تسمى بالبطائحية. و تعرفون مناظرة شيخ الإسلام بدجاجلة الباطنحية و سمو بالبطائحية نسبة إلى قرى البطائح و هي من قرى العراق حيث انتشرت فيها هذه الطريقة، فيقال

¹ أخرجه أبو داود في كتاب الفتن و الملاحم باب ذكر الفتن و دلائلها برقم (4252) و ابن ماجه في كتاب الفتن باب ما يكون من الفتن (3952)

البطائحية و يقال الرفاعية. أحمد بن أبي الحسين الرفاعي ليس له ولد كما ذكره المترجمون فانتقلت الطريقة بعد ذلك إلى أحد أصحابه و زعم أنه نالها منه بالوصايا.

شيخ الإسلام ابن تيمية ناظر دجاجلة البطائحية في حضرة الأمير و حضرة العلماء مناظرة متنوعة و طويلة. و كانت فرقة قوية في زمنه حتى إنها فشت عند تثار و استخدموا أنواعا من الخيل و السحر و الأكاذيب لترويج الطريقة بذكر هذه البدعة. و من ذلك أنه تحداهم رحمه الله في اليوم التاسع من شهر جمادى الأولى في سنة (705) من الهجرة تحدى هؤلاء البطائحية الدجاجلة أن يدخل هو و إياهم إلى النار و من أحرقتهم النار فعليه اللعنة. و اشتراط عليهم قبل ذلك أن يغتسلوا بالماء الحار و الخل و الملح لتزيل عنهم الأدهان و الأصباغ التي يدهنون بها أجسادهم و أرجلهم و أيديهم فلا تضرهم النار إذا دخلوها, حتى إنهم نكسوا على أعقابهم. قالوا إن رجلا من كبارهم رضي بذلك من باب الخصومة و المنازعة و رفع صوته "أحضروا حزم الحطب!" في مجلس الأمير. قال شيخ الإسلام: لا حاجة إلى هذا كله هذه شمعة (و ثمة شمعة موقدة في مجلس الأمير) قال: نغسل أصبعي و أصبعك بالماء الحار و الخل ثم ندخلها في هذه الشمعة. فمن أحرقتهم فعليه لعنة الله. فانجر و اصفر وجهه خوفا و فرقا. و شيخ الإسلام بهذا أراد أن يفضحهم و إن ناله ما ناله من الأذى, فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه لما تحداه أكيدر دومة في شرب السم شربه خالد و لم يضره ذلك بإذن الله لأنه في هذا الموقف يتبين من هو ولي الله حقا ممن هو ولي الشيطان بعد ذلك.

ثم قال شيخ الإسلام: و لو فعلوا ذلك و مشوا على الماء و طاروا في الهواء و تلاعبوا بالحيات و أكلوا السموم فإني لا أصدقهم ما داموا خالفوا الشرع المطهر. ففضح الله هؤلاء الدجاجلة البطائحية و مناظرة شيخ الإسلام لهم مطبوعة و موجودة, تجدونها في المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى المسمى بمجلد السلوك.

هؤلاء الرفاعية حصل منهم الكذب العظيم على النبي ρ . قال أتباع أحمد الرفاعي: إن الرفاعي حج في سنة (555) و إنه أتى إلى قبر النبي ρ و سلم عليه, فأخرج النبي ρ يده من الشباك حتى قبلها الرفاعي ثم رجعت يده إلى ضريحه. يمثل هذا ينسج القوم خرافاتهم و بدعهم و أساطيرهم على أتباعهم الذين يعتقدون أنها كرامة. و لهذا قلت لكم لا يمكن أن

يدخل في الطريقة حتى يعطل عقله و قلبه. زعموا أن الله خصهم بأن أبرد لهم النيران و فاعلية السموم و ألان لهم الحديد و لهذا لعبوا على الناس بما سمعتم من تلك الحيل حيث يمشون على النار و لا تضرهم و يأكلون السم و لا يضرهم و هم بذلك يستخدمون أنواعا من الأدهان و الكريجات و العصائر و اللطائف التي يلعبون بها على السدج من الناس. تزعمها في الأزمان المتأخرة رجل يقال له محمد بن مهدي السباد الرفاعي في القرن الثاني عشر، فخاصم دعاة التوحيد أعظم خصومة و زعم أنه الغوث الأكبر. الطريقة الرفاعية لهم خلوة بمدة أسبوع في كل سنة بعد انقضاء عشوراء. و يخلون فيها و يشترطون لمن أراد أن ينتسب لهذه الطريقة أنه إذا دخل في هذه الخلوة في هذا الزمن - تسمى بالخلوة الأسبوعية لأنها أسبوع من كل سنة تكون بعد عاشوراء - أنه لا يأكل شيئا من ذوات الأرواح أي لا يأكل اللحوم أبدا. و هذا يبين لكم صلة هذه الطريقة بالرافضة الذين يتخذون من يوم عاشوراء المأتم العظيم و المبكى الكبير و يتأسفون فيه على فقد الحسين و على خذلانه. حتى إنهم جعلوا أحمد الرفاعي في منزلة بعد الأئمة الاثني عشر مباشرة و هذا يبين علاقتهم بالرافضة.

من الطرق الصوفية المشهورة الطريقة الشاذلية المنسوبة لأبي الحسن الشاذلي المتوفى في سنة (656). و كان أبو الحسن الشاذلي صاحبا لمحي الدين بن عربي الطائي الجياني. و اختلف هو و إياه فقال أبو الحسن الشاذلي إن مدرسة و زهد أبي حامد الغزالي أفضل من غيره. فخالفه ابن عربي قال: لا إن الحلاج أفضل من أبي حامد الغزالي فافترقا.

أبو الحسن الشاذلي سكن الإسكندرية المدينة المشهورة في شمال مصر على ... البحر المتوسط و نشأ بها و له فيها المقام المشهور. مما ذكر عنه أنه قال: لولا لجام الشريعة على لساني لأخبرتكم بما يكون في غد و بعد غد إلى يوم القيامة. و هذا ادعاء علم الغيب و هو قاسم مشترك عند أولئك المتصوفة، فمنهم مقل و منهم مستكثر. الشاذلي له حزب معروف بحزب الشاذلي في أوراده. و هذا الحزب لا ينتسب إلى الطريقة الشاذلية حتى يحفظه و يلازمه. و قد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجلد مطبوع في الرد على حزب أبي الحسن الشاذلي و ما فيه من الأهواء و البدع و الشطاحات.

الشاذلي أيضا كان له أنواع من التأويلات الباطنية. و قد ذكر ابن عطاء الله الإسكندري أنه قال في قول الله تعالى (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) قال: إنه ما يذهب بولي من أولياء الله إلا و يأتي ولي آخر خير منه. و هذا نوع من التفسير الإشاري الباطني لكلام الله, و هو ضرب مشهور من أنواع التفاسر الباطلة و هي التفاسير الباطنية الإشارية التي يجعلون للقرآن لفظا ظاهرا و يجعلون تحته معانيا باطنة لا يعرفها و لا يدركها إلا هؤلاء و فتحوا بابا من أبواب الزندقة لم يسد على المسلمين, و اشتركوا في هذا مع غلاة الرافضة و الباطنية و هؤلاء الصوفية في العبث بكلام الله.

و التفاسير أربعة أضرب: تفسير ماثور, تفسير بالرأي, و تفسير باطني و تفسير رمزي. و منهم من يجعل التفسير الرمزي داخل التفسير الباطني.

أحد هؤلاء - و هو معدود في جانب الرد على الأشاعرة من العلماء الأقوياء لكنه في نفس الوقت عند من الصوفيات ما لم يحتل عنه - و هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله ابن محمد الأنصاري الهروي توفي في سنة (481) صاحب كتاب "الفاروق في الصفات" و "دم الكلام و أهله". له كتاب في التفسير وقفت عليه ففتحته على تفسير آية طه (الرحمن على العرش استوى) فإذا هو يذكر أن الله استوى على عرش قلوب الموحدين. و هذا مع ما فيه من الباطنية, فيه من تحريف معنى الاستواء و فيه إشارة إلى الحلول و العياذ بالله. لهذا ابن القيم حاول في "مدارج السالكين في شرح منازل السائرين ببيان منازل إياك نعبد و إياك نستعين" و منازل السائرين هذا للهروي, حاول أن يعتذر له و يلفظ عليه العبارة و يرد عنه الإشارات المحتملة لكنه لما عجز رحمه الله قال: رحم الله أبا إسماعيل ما أراد هذا و لكنه فتح باب عظيما للزندقة. و في موضع آخر يقول: رحم الله أبا إسماعيل و الله إنه حبيب إلينا و لكن الحق أحب إلينا منه." ثم يرد عليه و ينقد عليه.

و لهذا يا إخواني و أنتم طلبة علم في مستقبل الاشتغال بالعلم أنا أنصحكم بقراءة مدارج السالكين لتقفوا على مضامين العقيدة الصحيحة بدلائلها من الوحيين و تطبيقاتها على الأنفس و لتعرفوا أدب العلماء حتى مع مخالفيتهم. ابن القيم له أدب جم مع شيخ الإسلام الأنصاري, لاحظ حسناته و لما أتى إلى هذه المسائل حاول أن يعتذر له ما أمكن فلما عجز

وقف عند الحق و لم ينسق وراء إعجابه به. و هذا يعود الطالب المشتغل بالعلم الإنصاف و يلزمه باتباع الحق و أن يتأدب مع العالم إذا خالف أو إذا وقع فيما وقع فيه من الانحراف. منازل السائرين هذا وجدت شرحا لرجل من أهل خراسان يقال له الكاشاني شرحه على طريقة وحدة الوجود لأن عبارات الرجل محتملة لهذا.

أبو الحسن الشاذلي انبثقت عن طريقته عدة طرق شهيرة في مصر و في غير مصر: منها الطريقة المشهورة بالمرسية المنسوبة إلى أبي العباس المرسي صاحب الإسكندرية المتوفى في سنة (686). و كان خليفة لأبي الحسن الشاذلي و من أكبر طلابه بل إنه ادعى عن نفسه أنه صار القطب بعده و ادعى أنه صاحب الخضر و أخذ عنه و تلقى عنه. لماذا يدعي أنه صاحب الخضر؟ لأن الخضر عند الصوفية أوتي العلم اللدني الذي يخص الله جل و علا عندهم أوليائه فقط. و لهذا عامة الصوفية يزعمون حياة الخضر و يعتقدون أن اللقاء به و الاجتماع به و الأخذ عنه من الكرامات. أبو العباس المرسي له ضريح و مقام من أكبر المقامات و الأضرحة في مصر في الإسكندرية و يستغاث به. يستغاث به العوام "يا مرسي أبو العباس أعثنا" و غير ذلك. ممن أخذ عن الطريقة الشاذلية إبراهيم الدسوقي و هو الصوفي المشهور في كفر الشيخ في دلتا مصر سمي بكفر الشيخ نسبة إلى الشيخ الدسوقي. و كلاهما - أعني هذا أبو العباس المرسي و الدسوقي - لهما تأويلات لها المنحى الباطني مثل شيخهم أبو الحسن الشاذلي.

ممن أيضا أخذ عنه و انبثق عن طريقته الملقب بالسيد أحمد البدوي في طنطا في دلتا مصر توفي (675). و طريقة البدوي تسمى بالطريقة الأحمدية أو الطريقة البدوية و البدوي هذا لقب بهذا اللقب لأنه كان يتلثم كطريقة الطوارق البربر. و أصله من المغرب ثم انتقل حاجا و ملازما لأهل الطرق فأقبل على مكة و سكن في جبل أبي قبيس مختليا ثم رحل إلى العراق و إلى الشام و إلى مصر إلى أن كانت الطريقة المنسوبة إليه الطريقة الأحمدية البدوية.

بالمناسبة، الطريقة الأحمدية تنسب إلى طريقتين. طريقة أحمد البدوي الذي عليه مقام ضريح معروف في طنطا حتى أخبرنا أنه يحج إليه في يوم ميلاده من صعيد مصر و من بلاد النوبة و من أنحاء البلاد ما يقرب من المليونين. معهم النذور يسوقون البقر و الإبل و الجواميس و البط و الأرناب قرابين للسيد البدوي. و لهذا يقولون "يا سدي أحمد المدد" و وسائل الإعلام

الآن في مولد البدوي يعكسونها في العالم لأن الاحتفال به احتفال عظيم عند هؤلاء المنتسبين لهذه الطرق, و لا حول و لا قوة إلا بالله!

الطريقة الأحمدية تنسب إلى طريقة البدوي و تنسب إلى طريقة أحمد الرفاعي و تنسب إلى مذهب القاديانية الذين يعتقدون أن **الميرزى** غلام أحمد القادياني أنه نبي من الأنبياء.

من الطرق الصوفية الطريقة النقشبندية و هي منسوبة إلى رجل من نقشبند يقال له بهاء الدين محمد البخاري شاه نقشبند المولود (818) و توفي (891). و اشتهر من هذه الطريقة النقشبندية المدعو بالشيخ خالد النقشبندي و هي طريقة متفرعة من الطريقة القادرية. و لها نفوذ كبير في تركيا و بلاد الشام و في بلاد الهند و في أواسط آسيا و لها نفوذ قوي عند فرقة مشهورة في لبنان و هي فرقة الأحباش المنسوبة إلى عبد الله الحبشي الهري. و لها وجود قوي الآن و ظاهر في أوروبا و أمريكا هذه الطريقة النقشبندية التي تقمصها الأحباش في سلوكهم و في طريقتهم.

من الطرق الصوفية الطريقة الختمية في السودان و انتشرت في شرق أفريقيا خصوصا و هي المنسوبة إلى محمد عثمان بن محمد بن أبي بكر **الميرغني** المحجوب الملقب بالخم و لهذا سميت بالطريقة الختمية نسبة إليه. و قد ولد محمد عثمان بن أبي بكر الميرغني في مكة في سنة (1208 هـ) من الهجرة و توفي في السودان في سنة (1262) و لا يزال أبنائه و أحفاده و أبنائهم يتناوبون سيادة هذه الطريقة لأنها عمت في السودان و تبعها الجم الغفير من العوام الذين لا يعرفون.

الطريقة الختمية كان صاحبها ممن انخرط في الطريقة القادرية و الطريقة النقشبندية و الطريقة الشاذلية و صاحب محمد بن إدريس, صاحب الطريقة الإدريسية. فلما توفي محمد بن إدريس خلفه على زعامة الطريقة فاختلف مع رجل من أهل ليبيا يقال له محمد ابن علي السنوسي - المؤسس للطريقة السنوسية - فاختلف معه و غلبه في قيادة و ريادة هذه الطريقة فأسس زاوية باسمه و نسبت إليه فيقال الطريقة الختمية و يقال الطريقة المرغنية نسبة إليه في النسبة في نسبه, و كل هؤلاء عندهم غلو في ذات النبي ρ . شعارهم الغلو في ذات الرسول ρ و البغض ممن يحذر منهم. نحن عندهم من أشد الأعداء و ألدهم. و الله يعادوننا أشد من عداوة اليهود و النصارى و المشركين لأن الذين يكشفون عورهم و زيفهم و بدعهم أشد

عليهم من هؤلاء. و يسمونه بالوهابي هذه التسمية اللمزة و النقبة التي يلقبون بها من يخالفهم.

من الطرق الصوفية المشهورة طريقة مشهورة في بلاد الهند - إذا قلنا الهند اشتملت على الهند و باكستان و بنغلادش و سريلانكا و نيبال و ما حولها من المالديف إلى جزر القمر إلى نواح عديدة - الطريقة البريلوية. و إخواننا الهنود أرى أسنانهم قد بدت ابتسامة لأنهم يعرفون هذه الطريقة و للأسف يتحلها لحم الغفير. و الطريقة البريلوية منسوبة إلى محمد رضا بن تقي علي خان و سميت بالبريلوية لأن هذا قد نشأ في قرية تسمى بريلي في الهند في ولاية أندربيش, ولد هذا الرجل محمد رضا بن تقي خان في سنة (1272) و توفي في سنة (1340). و أحب أن أنبه إلى شيء في شخصيته و هذا الشيء في شخصية مثل هؤلاء لا بد أن يؤثر منهم انحراف إما في العقيدة أو في الشريعة أو في الأخلاق أو في العمل و السلوك. كان عصيبا حاد المزاج نحيفا و لعل شدة النحف من عصبيته, و كان مبتلى بالأمراض الأمراض النفسية و الأمراض العضوية بالحمى. و كان يصدر منه أشياء غريبة و بعض الناس إذا صدر مثل هذه من المجاذيب أمثالهم اعتقدوها في حقه كرامات فانطلت عند العوام و الهوام. و كان ممن يقول إن الرسول ρ خلق من نور الله و هذا و العياذ بالله شرك في الربوبية. و عندهم غلو عظيم في النبي ρ . و هم في الحقيقة مشركون عباد قبور و مقامات و أضرحة و لهذا يعادون غيرهم من المسلمين سواء من الديوبندية أو أهل الحديث أو جماعة التبليغ و إن كانوا ينسبون أنفسهم أحيانا إلى أهل السنة و الجماعة و هم ليسوا كذلك. شعارهم لبس الأخضر في عمائمهم و ثيابهم و تواقهم. و كذلك مقاماتهم مقامات أوليائهم و أضرحتهم مصبوغة بالقبة الخضراء يزعمون بذلك أنهم يتشبهون بقبة مسجد النبي عليه الصلاة و السلام. و لا يرون صحة صلاة من لا يلبس العمامة الخضراء أو التقية الخضراء. هم في الفروع حنفية متعصبة لكنهم في الاعتقاد على الطريقة البريلوية. ولا تصح الصلاة خلفهم و يعرف ذلك إخواننا طلاب العلم في تلك البلاد. اشتهرت هذه الطريقة البريلوية في الهند و اشتهرت في شرق إفريقيا بالتواصل القديم بينها و بين الهند في كينيا في مدغشقر في جزر القمر في جنوب إفريقيا بل وجدت لها مقاما عظيما في برمنجهام في بريطانيا. و أخبرت

أن لها وجودا الآن في كندا لأن هذه البلاد تستقطب هجرات, فيهاجر إليها من يهاجر المسلمين.

هناك الطريقة الجشتية و هي أقل انحرافا من الطريقة البريلوية لكنها طريقة صوفية. ممن تأثر بالطريقة الجشتية بعض الديوبنديين تأثروا بالطريقة الجشتية في السلوك و كذلك دخلت هذه الطريقة الجشتية في جماعة التبليغ التي أسسها الشيخ محمد إلياس في أول القرن الرابع عشر و قد ولد في سنة (1303) و توفي سنة ألف (1364). و التبليغيون و الديوبنديون أعداء للبرلوية و بينهم حروب و مقاتل و إن كانوا قد يشتركون في بعض القواسم. يجتمعون في الذكر و الأوراد يجتمع غلاتهم في قضية الحلول و الوحدة و الاتحاد. و سأقول كلمة و إن كانت الكلمة هذه لا تعجب كثيرا من الناس لكنها كلمة هي نتاج من سير واقعهم. و قد عرضتها قبل أن ألقيا عليكم على جمهرة من أهل العلم فوافقوني عليها, و هي أن جماعة التبليغ في هذا الزمان هي طريقة صوفية على منحى جديد غير المنحى الذي عرف عند الطرق الصوفية و لهذا يقومون على تعظيم الطريقة تعظيم الأتباع تعظيم المريدين. و وجد من أتباعهم من يعتقد أن محمد إلياس مجدد هذا القرن الرابع عشر. و لهذا من قواسمهم أنهم لا يرون جهاد الكفار, بل الاشتغال بالجهاد بجهاد النفس و عدم الدخول في النزاعات لأنها من أسباب إماتة المذهب. فالمتحصل أن جماعة التبليغ هي طريقة صوفية لكنها على منحى جديد يوائم الظروف المتغيرة في العالم و أحوال الدول. و لهذا تجدون أتباعهم في كل مكان لا أحد يمنعهم. نعم, في جوانب استثمارها و هي طيبة كالإيثار و الصبر و التحمل و ثمة معان خطيرة تتعلق بهذا و هو بعدهم عن العلم و تنفيرهم من العلم و أهله و لا سيما من علم العقيدة و علم التوحيد.

من الطرق الصوفية الطريقة التيجانية. و هي من أشهر الطرق الصوفية في أفريقيا المنتسبة كما يقولون لسيدي أبي العباس. سيدي هذه لفظة عندهم في تعظيم الولي أو من له شرف لكننا نحن لا نرى التعبير بها و إنما ذكرتها لكم حكاية لا إقرارا بها. هي منسوبة إلى أبي العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني نسبة إلى قرية من قرى البربر في بلاد المغرب تسمى بني بُّجَّين النسبة إليها تيجاني أو تجاني على التسهيل. و قد ولد هذا الرجل في القرن الثاني عشر في سنة (1150) و توفي في سنة (1230). يعني أنه كان معاصرا لشيخ الإسلام محمد بن

عبد الوهاب, فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ولد في العيينة في سنة (1115) و توفي في درعية في سنة (1206 هـ). أبو العباس أحمد بن محمد المختار التيجاني توفي سنة (1230) و كان في أول الأمر على الطريقة الخلوتية و هي طريقة مشهورة لكنها لا ينتسب إليها إلا الكبار كما يزعمون و هي تقوم على الخلوة بالذكر و بالله, بالتصفية التي مآلها إلى الحلول و الاتحاد و وحدة الوجود. ثم إنه أسس طريقة نسبها إلى نفسه في زاوية من زوايا مدينة فاس المدينة العلمية المشهورة في بلاد المغرب. و قالوا إنه أتى إلى هذه الزاوية و كانت خربة و كان من أعظم الكرامات أن نظفها و جهزها و هيأها لأصحابه و مرديه. أنشأ هذه الطريقة في سنة (1196) و بنى بها زاوية و الزاوية عندهم هو مكان الذكر, و أول من ابتنى الزاوية و الدور للذكر أحمد بن علي الهجيمي في البصرة كما سبق بيانه.

الطريقة التيجانية انتشرت في المغرب لا سيما في غرب أفريقيا و انتشرت في شمالها أيضا. و أقوى الأماكن التي انتشرت فيها بعد المغرب السنغال و نيجيريا و في شمال أفريقيا إلى أن وصلت إلى أواسط أفريقيا بل إلى غرب أفريقيا. مصر الآن فيها فرع لهذه الطريقة و هي من أقوى الطرق في مصر و بلاد الشام.

هذه الطرق الصوفية لا تنتشر إلا في البلدان التي فيها ضعف في العلم و حاجة و فقر و فيها قلة بالعبادة بالعقيدة الصحيحة و الدعوة إليها. إذا وجدا هذه المقومات الأربع: ضعف العلم و ضعف العبادة بالعقيدة و الدعوة إليها و الفقر و الحاجة تنتشر هذه الطرق. يزيد انتشارها أنها تتقاطع مع المستعمرين.

قد يقول قائل: بعض هذه الطرق عرف بجهاد المستعمرين, ألا يعارض هذا قولك؟ نقول: لا يعارضه, لأن سبب هذه المجاهدة أن هذه الطريقة أو سيدها لم ينل و لم يحظ من المستعمر بما أراد من المنصب و الرئاسة. فلأنه لم يحظ منه بما يريد يأمر أصحابه الذين يطيعون أمره أشد من طاعتهم لأمر الله و أمر رسوله ρ فيكون عندئذ الجهاد لهم بمسمى مجاهدتهم و في الحقيقة أنه هو تقاطع مصالح لئلا يستولي على نقودهم أو لئلا يمكن من المصلحة التي يريدونها.

هذه الطريقة التيجانية من أشهر الطرق في أفريقيا بالخصوص ثم انتشرت في أوروبا. و سمعت أن لها وجودا الآن في فرنسا و في بلجيكا و في هولندا و في إيطاليا و في بريطانيا بل انتقلت حتى إلى أمريكا الشمالية و أمريكا اللاتينية.

من البدع التي عرفت بها الطريقة التيجانية ما تسمى بصلاة الفاتح التي ابتدعتها التيجاني و زعم أنه رأى النبي ρ حضرة و قال: "إن هذه الصلاة, من قرأها له أفضل و أعظم ممن قرأ القرآن ستة آلاف مرة." و هذا من الخرافات و من البدع و يصدقها أتباعه.

أيضا يقولون بوحدة الوجود و هذا القول قد لا يعثر عليه عند عوامهم أو عند المريدين لكن من ترقى في درجاتهم وجد أنهم يصرحون به. من تلاميذه أبو العباس أحمد بن مختار التيجاني و هو المسمى بعلي حرازم, و له كتاب سماه "جواهر المعاني و بلوغ الأماني في فيوض - أي ما أفيض على هذا العالم و الفيوض المراد بها الفتوحات و الكشوفات التي يعدونها مصدرا من مصدر التلقي لبناء دينهم - في فيوض سيدي أبي العباس التيجاني. يقول فيه في تقرير وحدة الوجود - و هذا الكلام في المجلد الأول منه في صفحة 184 إلى 185 - يقول كل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر فما عبد و لا سجد إلا لله تعالى المتجلي في تلك الألباس. جمع بين حلول و اتحاد الذي أفضى إلى وحدة الوجود. يقول كل عابد أو ساجد لغير الله في الظاهر : و هذا يشير إلى معنى الظاهر و الباطن عند الصوفية, فإنه ما عبد و لا سجد إلا لله تعالى المتجلي في تلك الألباس.

مما ادعته التيجانية ادعاؤهم دخول اللجنة لأتباعهم لذرية التيجاني و أبنائه و أحفاده و أتباع طريقته مهما عصوا الله جل و علا, و هذا نص عليه أيضا تلميذه في كتابه "جواهر المعاني". مما يقولونه أنهم يرون النبي ρ في اليقظة و يأخذون عنه. و رؤية النبي ρ في اليقظة أو حضوره قاسم مشترك عند كثير من طوائف الصوفية و لهذا عندهم في احتفالهم ببدعة ميلاد النبي ρ - في آخر هذا الاحتفال - يقومون لأنه عندهم بزعمهم حضرت الحضرة النبوية المصطفوية, فلا **غروي** أن يعتقد بعضهم أنهم يلتقون بالنبي ρ يقظة. يبدؤون بأنهم رأوا النبي ρ في المنام, فيجعلون رؤية النبي ρ في المنام من أعظم الكرامات التي تدل على رسوخ المريدين في هذه الطريقة و سلوكه إياها. و يزعمون في هذا بقول النبي ρ : **من رآني في المنام فقد رآني**

فإن الشيطان لا يتمثل بي.¹ و يدلون بهذا الحديث و هو في الصحيح على العوام و على أنصاف المتعلمين فينخدع بهم. نعم، من رأى النبي ρ في المنام فقد رآه إذا كان المرئي هو على وصفه عليه الصلاة و السلام.

قال: فإن الشيطان لا يتمثل بي، أي لا يتمثل بصورتي. يأتي بعض الناس يقول رأيت شيخا لحيته بيضاء وجهه نور يقول: أنا رسول الله. هل هو الرسول؟ نقول يكذب، لأن النبي ρ ليس في لحيته إلا بضعة شعرات بيضاء عدتها أربع عشرة شعرة فإذا رأى شخصا أو صورة تخالف الصورة المعروفة عنه ρ فليعرف أن هذا المرئي ليس رسول الله. ثم لو رأى صورة كصورة النبي ρ و أمره بأمر يخالف دينه أمره بصلاة بذكر لم يأت في دينه فإنه عندئذ ليس المرئي رسول الله... و رؤية النبي ρ بذاته في المنام هي بشرى للمؤمنين داخله في المبشرات بشرط أن لا تتضمن و لا تشتمل على أنه يأمره بأمر يخالف دينه و شرعه الذي بعثه الله جل و علا به و هي سنته عليه الصلاة و السلام.

مما عندهم أيضا الكشوف و الفيوضات و الذوق و المواجهيد و الاستحسان بالذكر و الرقص و الطرب. عندهم أيضا مسائل الوحدة و الحلول و الاتحاد، و إخواننا الذين في بلادهم هذه الطريقة يعرفون ذلك من رموز أهلها و من مشايخها. و لهم نفوذ على الناس حتى أضحت دولهم و الدول المستعمرة قبل ذلك و الأحزاب الموجودة الآن تخشاهم بل تستميلهم لتستجلب أصوات من ينتسب إلى هذه الطرق و إلى تلك الفرق نعوذ بالله من أسباب الخذلان و الضلال هذه إلماعة موجزة في هذه الطرق و إلا الطرق كثيرة، من الطرق الصوفية الطريقة النورية في تركيا. هي طريقة صوفية لكنها اتخذت بعدا حركيا سياسيا لو تلاحظون أن الطرق الصوفية الجديدة التي نشأت في القرن الرابع عشر أو أول الخامس عشر تكتسب البعد الحركي و البعد السياسي تغيرا مع الظروف التي تغيرت بها الدول و تغيرت بها المجتمعات كما قررت ذلك في جماعة التبليغ و كما في الطريقة النورية المشتهرة في تركيا.

هذا ما تيسر في ذكر هذه الطرق و قبلها في ذكر أصول الفرق و أعتذر عن التقصير لأن المقصود إلماعات موجزة. نسأل الله جل و علا أن يمنحنا و إياكم الفقه في دينه و أن يرزقنا

¹ أخرجه البخاري في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ρ برقم (110) و مسلم في كتاب الرؤيا باب قول النبي ρ من رأني في المنام فقد رأني برقم (2266).

الثبات عليه و أن ينصر دينه و يعلي كلمته و أن يعيدنا و إياكم و إخواننا و أحببنا من
مضلات الفتن ما ظهر منها و ما بطن, و أن يتوفانا على دينه و هو راض عنا و ألا يسخط
عنا أبدا إنه جواد كريم.

1	الدرس الأول.....
1	مقدمة في شرح حديث الافتراق.....
11	الفرقة الأولى الخوارج:.....
11	<u>ظهور الخوارج</u>
13	<u>أسماء الخوارج</u>
14	<u>أول خروج الخوارج الفعلي</u>
20	<u>مناظرة ابن عباس ؓ للخوارج</u>
21	الدرس الثاني.....
26	<u>أصول الخوارج و فرقهم</u>
34	<u>القواسم المشتركة بين الخوارج الأول و خوارج هذا العصر</u>

44	الدرس الثالث
44	<u>تنبيهات عامة</u>
49	الدرس الرابع
49	الروافض
50	<u>ظهور الروافض</u>
50	<u>اسمهم الصحيح ذكر السبب في ذلك</u>
53	<u>طوائف الروافض</u>
65	<u>أصول الروافض</u>
77	الدرس الخامس
77	المعتزلة
77	<u>سبب تسميتهم</u>
79	<u>أصول المعتزلة الخمسة</u>
82	<u>أسماء المعتزلة</u>
83	<u>معتزلة البصرة و فرقهم</u>
86	الدرس السادس
87	<u>معتزلة بغداد و فرقهم</u>
91	الجهمية
91	<u>سبب تسميتهم</u>
92	<u>أصناف المرجئة</u>
94	<u>أصول الجهمية</u>
98	<u>فرق المرجئة</u>
104	الدرس السابع
104	الصوفية

105 <u>سبب تسميتهم</u>
109 <u>المراحل التي مرت بها الصوفية</u>
113 <u>أشخاص أثروا على الصوفية</u>
115 <u>أصول الطرق الصوفية</u>
116 <u>الدرس الثامن:</u>
116 <u>القواسم المشتركة بين الطرق الصوفية</u>
118 <u>أشهر الطرق الصوفية</u>